

الجزء الأول


هذه
مذكرات حسن البنا
بقلمه
الجزء الأول

تعد نصف مليون ولعلها في الحقيقة تناهز المليون فقد فتحت لها في أنحاء القطر المصري ألفا وسبعمائة شعبة. وقامت هذه الجماعة، قبل حلها، بأعمال جعلتها خالدة على التاريخ، من انشاء المدارس والمستشفيات والشركات ومقاومة الاستعمار ومحاربة الشيوعية والصهيونية ... وها نحن نراها بعد الحل تقوم بأعمال لا بد للمؤرخ من تسجيلها ومعنى ذلك ان المؤرخ سيضطر الى البحث عن شخصية حسن البنا التي امتزجت بها شخصية جماعة الاخوان المسلمين في مختلف احوالها وأطوارها، وقد يلجأ الى مصادر كثيرة مما كتب الناس عنها، ولكنه لن يستطيع، مع ذلك، تحليل هذه الشخصية تحليلا دقيقا كالذي تجده ماثلا بين يديك في مذكرات الرجل بقلمه حيث يترجم لنفسه بنفسه. ولقد وجدت هذه المذكرات، مبعثرة في زوايا جريدة الاخوان المسلمين في حوالي خمسمائة عدد [1] وهي تصور حياة الرجل واعماله في دقة وايجاز وسهولة عبارة، فأدركت فائدتها للمؤرخين وقدرت الاثر الذى تتركه في نفوس الناشئين، فعملت على جمع هذه المذكرات ونشرها بين يدي جيل البلاد الصاعد، ولعله يجد فيها متعة وعبرة وقدوة والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

الناشر

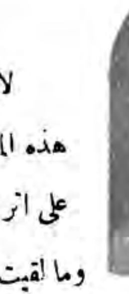
---

(١) ابتداء من العدد ٧٤ الصادر في ٢١-٧-٩٤٧ حتى اوقفت الجريدة عن الصدور بمناسبة قرار الحل



المقـدمة

أوصي الذين يعرضون للعمل العام
ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك
بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة



لاأدري لماذا أجد في نفسي رغبة ملحة في كتابة هذه المذكرات بعد أن اعرضت عن ذلك اعراضاً تاماً على اثر عثور النيابة على مذكراتي الخاصة سنة ١٩٤٣ وما لقيت من المحقق من عنت وارهاق في غير جدوى ولا طائل ولا موجب إلا تحميل الالفاظ غير ما تحمل ، واستنباط النتائج التي لاتؤدي اليها المقدمات بحجة أن هذه هي مهمة النيابة العمومية باعتبارهـــا سلطة اتهام .

ولعل ضياع معظم هذه المذكرات بعد ذلك هـو السبب المباشر في هذه الرغبة ، لانه يظهر أن من العزيز على المرء أن تضيع من بين يديه هـــذه الذكريات العزيزة ، أو أنه يخشى عليها الضياع والنسيان وهي صفحات حياته ، يسرى بتلاوتها واستعراضها عن نفسه ، ويتركها لغيره من بعده ...وبالرغم من هذا الضياع فانني لازلت اذكر هذه الوقائع كأنها بنت الساعة .

ولعل هذا سبب آخر لرغبتي في الكتابة : حتى لا تأتي على هذا التذكر عوادي الزمن ، « واختلاف النهار والليل ينسى » .

ومهما يكن من شيء فأنا راغب في الكتابة ، وسأكتب نزولا على هذه.

الرغبة فان يكن الخاطر رحمانياً فالحمد لله وان يكن غير ذلك فأستغفر الله ، ويقيني أن هذه الكتابة إن لم تنفع فلن تضر ، والخير أردت ، والله ولي التوفيق .

وان كنت أوصي الذين يعرضون انفسهم للعمل العام ويرون انفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة ، فذلك أروح لانفسهم وللناس ، وأبعد عن فساد التعليل وسوء التأويل «والله يقولُ الحقَّ وهوَ يهدي السبيل» .

مدرسة الرشاد الدينية

رحم الله أستاذنا الشيخ محمد زهران صاحب مدرسة الرشاد الدينيـــة الرجل الذكي الالمعي ، العالم التقي ، الفطن اللقن الظريف ، الذي كان بين الناس سراجاً مشرقاً بنور العلم والفضل يضيء في كل مكان ، وهو وان كانت دراسته النظامية لم تصل به الى مرتبه العلماء الرسميين فان ذكاءه واستعداده ودأبه وجهاده قد جعله يسبق سبقا بعيداً في المعارف وفي الانتاج العام . كان يدرس للعامة في المسجد ويفقه السيدات في البيوت وانشأ مع ذلك مدرسة الرشاد الدينية في سنة ١٩١٥ م تقريباً لتعليم النشء على صورة كتاتيب الاعانة الاهلية المنتشرة في ذلك العهد في القرى والريف ولكنها في نهج المعاهد الرائعة التي تعتبر دار علم ومعهد تربية على السواء ممتازة في مادتها وطريقتها ، وتشتمل مواد الدراسة فيها ، زيادة على المواد المعروفة في امثالها حينذاك ، على الأحاديث النبوية حفظا وفهما فكان على التلاميذ أن يدرسوا كل اسبوع في نهاية حصص يوم الخميس حديثا جديداً يشرح لهم حتى يفقهوه ، ويكررونه حتى يحفظونه ثم يستعرضون معه ماسبق أن درسوه فلا ينتهي العام إلا وقد حصلوا ثروة لابأس بها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذكر ان معظم ماأحفظ من الأحاديث بنصه هو مما علق بالذهن منذ ذلك الحين ، كما كانت تشتمل كذلك على الانشاء والقواعد والتطبيق ، وطرف من الادب في المطالعة أو الاملاء ومحفوظات ممتازة من جيد النظم أو النثر ولم يكن شيء من هذه المواد معروفاً في الكتاتيب المماثلة .

وكان للرجل اسلوب في التدريس والتربية مؤثر منتج ، رغم أنه لم يدرس علوم التربية ولم يتلق قواعد علم النفس ، فكان يتعمد أكثر مايعتمد على المشاركة

الوجدانية بينه وبين تلامذته . وكان يحاسبهم على تصرفاتهم حسابا دقيقا مشربا باشعارهم الثقة بهم والاعتماد عليهم ، ويجازيهم على الاحسان أو الاساءة جزاء أدبيا يبعث في النفس نشوة الرضى والسرور مع الاحسان كما يذيقها قوارص الألم والحزن مع الاساءة ، وكثيراً ما يكون ذلك في صورة نكتة لاذعة أو دعوة صالحة أو بيت من الشعر ـ إذ كان الأستاذ يقرضه على قلة ـ ولا أزال أذكر بيتا من الشعر كان مكافأة على اجابة في التطبيق اعجبته فامر صاحب الكراسة أن يكتب تحت درجة الموضوع :

حسن اجاب وفي الجواب اجادا … فالله يمنحه رضا ورشاداً

كما أذكر بيتا آخر أتحف به أحد الزملاء على إجابة لم ترقه وأمره أن يكتب تحت درجته :

ياغارة الله جدي السير مسرعة … في أخذ هذا الفتى ياغارة الله

ولقد ذهبت مثلا وأطلقت على هذا الزميل اسما فكنا كثيراً ما نناديه اذا أردنا ان نغيظه « ياغارة الله » ـ وانما كان الاستاذ يوصى صاحب الكراسة بأن يكتب بنفسه ما يمليه عليه لانه رحمه الله كان كفيفا ولكن في بصيرته نور كثير عن المبصرين « فانها لا تعمى الابصارُ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ».

ولعلي ادركت منذ تلك اللحظة، وان لم اشعر بهذا الادراك ، أثر التجاوب الروحي والمشاركة العاطفية بين التلميذ والاستاذ فلقد كنا نحب استاذنا حبا جارفا رغم ما كان يكلفنا من مرهقات الاعمال . ولعلي افدت منه رحمه الله مع تلك العاطفة الروحية حب الاطلاع وكثرة القراءة اذ كثيراً ما كان يصطحبني الى مكتبته وفيها الكثير من المؤلفات النافعة لأراجع له وأقرأ عليه ما يحتاج اليه من مسائل ، وكثيرا ما يكون معه بعض جلسائه من أهل العلم فيتناولون الموضوع بالبحث والنظر والنقاش وأنا اسمع . وهكذا يكون لهذا الاتصال المباشر بين الاستاذ والتلميذ

اجمل الآثار . وحبذا لو قدر ذلك المعلمون والمربون واعتمدوا عليه وعنوا به ففيه ان شاء الله الخير الكثير . وفي هذه المدرسة المباركة مرت فترة من فترات العمر بين الثامنة الى الثانية عشرة.

الى المدرسة الاعدادية

ولقدشغل استاذنابعد ذلك عن مدرسته ، وعهدبها الى غيره من العرفاء الذين ليس لهم مثل روحه المشرق وعلمه الواسع وأدبه الجم وخلقه الجذاب ، فلم يرق لهذا الناشيء الذي تذوق حلاوة هذه الخلال أن يصبر على صحبتهم ، رغم انه لم يتم القرآن حفظـا بعد ولم يحقق رغبة والده الملحة في ان يراه حافظا لكتاب الله : فهو لم يتجاوز بعد سورة الاسراء ابتداء من البقرة — وهو نصف الختمة تقريبا ـ وعلى حين فجأة صارح والده في تصميم عجيب انه لم يعد يطيق ان يستمر بهذه الكتاتيب وانه لابدله من الذهاب الى المدرسة الاعدادية . والمدرسة الاعدادية حينذاك على غرار المدرسة الابتدائية اليوم بحذف اللغة الاجنبية واضافة بعض مواد القوانين العقارية والمالية وطرف من فلاحة البساتين مع التوسع نوعا ما في دراسة علوم اللغه الوطنية والدين .

وعارض الوالد الحريص على أن يحفظ ولده كتاب الله ، في هـذه الرغبة ولـكنه وافق عليها بعد أن تعهد له صاحبها بأن يتم حفظ القرآن الكريم « من منزله » . وما جاء أول الاسبوع حتى كان الغلام طالبا بالمدرسة الاعدادية يقسم وقته بين الدرس نهارا ، وتعلم صناعة الساعات التي اغرم بها بعد الانصراف من المدرسة إلى صلاة العشاء ، ويستذكر هذه الدروس بعد ذلك الى النوم ، ويحفظ حصته من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح حتى يذهب إلى المدرسة .

جمعية الاخلاق الادبية

وكان من بين اساتذة هذه المدرسة « محمد افندي عبد الخالق » رحمه الله وكان مدرس حساب ورياضة ، ولكنه كان صاحب خلق وفضيلة ، فاقترح على طلبة السنة الثالثة ان يؤسسوا من بينهم جمعية مدرسية يطلقون عليها اسم « جمعية الاخلاق الادبية » ووضع بنفسه لائحتها ، واعتبر نفسه المشرف عليها وأرشد الطلاب الى اختيار مجلس ادارتها . وكانت لائحتها الداخلية تتلخص في أن : من شتم أخاه غرم مليما واحداً ، ومن شتم الوالد غرم مليمين ، ومن شتم الام غرم قرشاً ، ومن سب الدين غرم قرشين ومن تشاجر مع آخر غرم مثل ذالك – وتضاعف هذه العقوبة لاعضاء مجلس الادارة ورئيسه – ومن توقف عن التنفيذ قاطعه زملاؤه حتى ينفذوما يتجمع من هذه الغرامات ينفق في وجوه من البر والخير . وعلى هؤلاء الاعضاء جميعا أن يتواصوا فيما بينهم بالتمسك بالدين واداء الصلاة في اوقاتها والحرص على طاعة الله والوالدين ومن هم أكبر سناً او مقاماً .

وكانت ثروة مدرسة الرشاد الدينية سببا فى ان يتقدم هذا الناشيء اخوانه وأن تتجه اليه انظارهم حتى اذا أريد اختيار مجلس ادارة جمعية الاخلاق الادبية وقع اختيارهم عليه رئيساً لهذا المجلس . وزاولت الجمعية عملها وحاكمت الكثيرين على مخالفات وقعت منهم وجمع من هذه الغرامات مبلغ من المال لا بأس بـه أنفق بعضه في تكريم الزميل الطالب (لبيب اسكندر) شقيق طبيب الصحة الذي نقل الى بلد آخر فنقل أخوه معه ، وانفق البعض الآخر في تجهيز ميت غريب غريق أتى به النيل الى جوار سور المدرسة فقامت الجمعية بتجهيزه من هذه الاموال . ولا شك ان جمعية كهذه تنتج في باب تكوين الاخلاق اكثر

مما ينتج عشرون درساً من الدروس النظرية وعلى المدارس والمعاهد أن تعني أ كبر العناية بأمثال هذه الجمعيات ...

على شاطيء النيل

واذكر ان كان من اثر هذه الجمعية في نفوس اعضائها الناشئين انني مررت ذات يوم على شاطيء نهر النيل حيث يشتغل عدد كبير من العمال في بناء السفن الشراعية ، وهي صناعة كانت منتشرة في محمودية البحيرة ، فلاحظت أن أحد اصحاب هذه السفن المنشأة قد علق في ساريتها تمثالا خشبيا عاريا على صورة تتنافى مع الآداب ، وبخاصة وان هذا الجزء من الشاطيء يتردد عليه السيدات والفتيات يستقين منه الماء فهالني ما رأيت وذهبت فوراً الى ضابط النقطة ، ولم تكن المحمودية قد صارت مركزاً اداريا بعد ، وقصصت عليه القصص مستنكرا هذا المنظر . وقد اكبر الرجل هذه الغيرة وقام معي من فوره حيث هدد صاحب السفينة وأمره أن ينزل هذا التمثال في الحال وقد كان . ولم يكتف بذلك بل انه حضر صباح اليوم التالي الى المدرسة وأخبر الناظر الخبر في اعجاب وسرور . وكان الناظر مربيا فاضلا هو الاستاذ ـ محمود رشدي ـ من كبار رجال وزارة المعارف الآن فسر هو الآخر وأذاعه على التلاميذ في طابور الصباح مشجعا اياهم على بذل النصيحة للناس والعمل على انكار المنكر اينما كان ـ ويظهر ان هذا الاهتمام بمثل هذه الشئون قد انصرف عنه اليوم ، مع الاسف ، الكثير من النظار والضباط على السواء .

في المسجد الصغير

ولقد دأب كثير من تلامــــذة هذه المدرسة على اداء الصلاة في « المسجد الصغير » وهو مسجد مجاور لها وبخاصة صلاة الظهر حيث تجمعهم فسحة بعد الغداء .

ومن الطرائف التي أذكرها ان إمام هذا المسجد الاهلي ، الشيخ محمد سعيد رحمه الله ، مر ذات يوم فرأى مؤذنا يؤذن وجماعة تقام وإماما يتقدم وعددا كثيرا من التلامذة يزيد على ثلاثة صفوف او اربعة يصلي فخشى الاسراف في الماء والبلى على الحصير وانتظر حتى أتم المصلون صلاتهم ثم عمل على تفريقهم بالقوة مهددا ومنذراً ومتوعدا فمنهم من أذعن وفر ومنهم من وقف وثبت .

وأوحت الى خواطر التلمذة أن أقتص منه ولا بد . فكتبت اليه خطاباً ليس فيه الا هذه الاية «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين» ولا شيء غير ذلك ، بعثت به اليه في البريد مغرما واعتبرت ان غرامة قرش صاغ كافية في هذا القصاص . وقد عرف رحمه الله ممن جاءته هذه الضربة وقابل الوالد شاكياً معاتباً فاوصاه بالتلاميذ خيرا وكانت له معنا بعد ذلك مواقف طيبة عاملنا فيها معاملة حسنة واشترط علينا أن نملأ صهريج المسجد بالماء قبل انصرافنا وأن نعاونه في جمع التبرعات للحصر اذا ما أدركها البلى وقد اعطيناه ماشرط.

جمعية منع المحرمات

وكأن هذا النشاط الداخلي لم يرض رغبة هؤلاء الناشئين في العمل للاصلاح فاجتمع نفر منهم . كان من بينهم الاستاذ محمد علي بدير المدرس بالمعارف الآن ولبيب افندي نوار التاجر الان والاخ عبد المتعال سنكل افندي ، والاستاذ عبد الرحمن الساعاتي الموظف بالسكة الحديدية الآن ، والاستاذ سعيد بدير المهندس الان — وقرروا تأليف جمعية اسلامية باسم «جمعية منع المحرمات» وكان اشتراك

العضو فيها يتراوح بين خمسة مليمات وعشرة اسبوعياً وكانت أعمالها.موزعة على اعضائها:فمنهم من كانت مهنته تحضير النصوص وصيغ الخطابات ،وآخر مهنته كتابة هذه الخطابات بالحبر « الزفر »،وثالث مهنته طبعها ،والباقون توزيعها على اصحابهـا ـ وأصحابها هم الذين تصل الى الجمعية أخبارهم بأنهم يرتكبون بعض الآثام أو لا يحسنون أداء العبادات على وجهها ،وخصوصاً الصلاة ، فمن افطر في رمضان ورآه أحد الاعضاء بلغ عنه فوصله خطاب فيه النهي الشديد عن هذ المنكر،ومن قصر في صلاته ولم يخشع فيها ولم يطمئن وصله خطاب كذلك ، ومن تحلى بالذهب وصله خطاب نهي فيه حكم التحلي بالذهب شرعاً ، وأيما امرأة شاهدها أحد الاعضاء تلطم وجهها في مأتم أوتدعو بدعوى الجاهلية وصل زوجها أووليها خطاب،وهكذاما كان احد من الناس صغيراً أو كبيراً يعرف عنه شيء من المـآثم إلا وصله خطاب من الجمعية ينهاه أشد النهي عما يفعل ـ وكان من اليسير على الاعضاء لصغر سنهم وعدم اتجاه الانظار اليهم أووقوع الشبهة عليهم أن يعرفوا كل شيء،ولا يتحرز الناس منهم . وكان الناس يظنون أن هذامن عمل أستاذنا الشيخ زهران رحمه الله ويقابلونه ويلومونه لوماً شديداً ويطلبون اليه ان يتحدث اليهم فيما يريد بدلا من هذه الكتابة . والرجل يتنصل من ذلك ويدفع عن نفسه ، وهم لايكادون يصدقون حتى وصله هو ذات يوم خطاب من الجمعية يلفت نظره الى أنه صلى فريضة الظهر بين السوارى ـ وذلك مكروه ـ وهو عالم البلد،فيجب عليه ان يبتعدعن المكروهات ليبتعد غيره من المواعن المحرمات.وأذكر أن الشيخ رحمه الله دعاني حينذاك ـ وقد كانت صلتي مستمرة به في الدروس العامة وان كنت قد تركت مدرسته أومكتبته ـ لنراجع معـا هذا الحكم في كتاب فتح الباري فيشرح البخاري ولا زلت أذكر الموضوع

كأنه اليوم وكنت أقرأ له وأنا أبتسم وهو يتساءل عن هؤلاء الذين كتبوا له ووجد أن الحق معهم وأنهيت ذلك إلى أعضاء الجمعية فكان سرورهم به عظيما .

واستمرت الجمعية تؤدي عملها اكثر من ستة أشهر وهي مثار عجب الناس ودهشتهم، حتى اكتشف امرها على يد صاحب قهوة استدعى راقصة فوصله خطاب من الجمعيـــة ، وكانت الخطابات لا ترسل بالـــبريد اقتصاداً في النفقات، وانما يحملها أحد الاعضاء ويضعها في مكان يلفت نظر صاحبها اليها فيستلمها ولا يرى من جاء بها — ولكن المعلم كان يقظاً فشعر بحركة حامل الخطاب فقبض عليه بخطابه وعاتبه عتابا شديداً أمام من في القهوة وعرفت الجمعية عن هذا الطريق فرأى أعضاؤها ان يخففوا من نشاطهم ويعملوا باسلوب آخر لمنع المحرمات .

الى مدرسة المعلمين الاولية

بدمنهور

وكان هذا الطالب قد وفي بعهده فاستمر يحفظ نصف القرآن الذي خرج به من مدرسة الرشاد وأضاف إليه ربعاً آخر الى سورة « يس » . وقرر مجلس مديرية البحيرة الغاء نظام المدارس الاعدادية وتعديلها الى مدارس ابتدائية فلم يكن أمام الطالب الا أن يختار بين ان يتقدم الى المعهد الديني بالاسكندرية ليكون أزهريا أو الى مدرسة المعلمين الاولية بدمنهور ليختصر من الطريق ويكون بعد سنوات ثلاث معلما . ورجحت كفة الرأي الثاني في النهاية وجاء موعد تقديم الطلبات وتقدم بطلبه فعلا، ولكن كان أمام عقبتين: عقبة السن فهو ما يزال في منتصف الرابعة عشرة واقل سن القبول أربع عشرة كاملة، وعقبة إتمام حفظ القرآن الكريم إذ ان ذلك هو شرط القبول في الدخول ولا بد من أداء امتحان شفهي

في القرآن الكريم ، ولقد كان ناظر المدرسة حينذاك ، هو الاستاذ « بشير الدسوقي موسى » المحال الى المعاش الآن، كريماً متلطفا ، فتلطف بالطالب وتجاوز عن شرط السن ، وقبل منه التعهد بحفظ ربع القرآن الباقي ، وصرح له بأداء الامتحان التحريري والشفهي فأداهما بنجاح ، ومنذ ذلك الوقت اصبح طالباً بمدرسة المعلمين الاولية بدمنهور .

الطريقة الحصافية

وفي المسجد الصغير رأيت « الاخوان الحصافية » يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت مواظباً على حضور درس الشيخ زهران رحمه الله بين المغرب والعشاء، فاجتذبتني حلقة الذكر بأصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة، وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك وتعالى، فواظبت عليها هي الاخرى. وتوطدت الصلات بيني وبين شباب هؤلاء الاخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون : الشيخ شلبي الرجال والشيخ محمد أبو شوشة والشيخ سيد عثمان ، والشبان الصالحون الذين كانوا أقرب الذاكرين الينا في السن : محمد افندي الدمياطي وصاوي افندي الصاوي وعبد المتعال افندي سنكل ، واضرابهم . وفي هذه الحلبة المباركة التقيت لاول مرة بالاستاذ احمد السكري وكيل الاخوان المسلمين فكان لهذا اللقاء اثره البالغ في حياة كل منا . ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد على الاذن فيكون له اجمل وقع في اعماق القلب واخذ الشوق والحنين الى رؤيـــة الشيخ والجلوس اليه والاخذ عنه يتجدد حينا بعد حين واخذت أواظب على الوظيفة الرزوقية صباحا ومساء وزادني بها اعجاباً ان الوالد قد وضع عليهـا

تعليقا لطيفا جاء فيه بادلة صيغها جميعا تقريباً من الاحاديث الصحيحة وسمي هذه الرسالة « تنوير الافئدة الزكية بادلة اذكار الرزوقية » .ولم تكن هذه الوظيفة اكثرمن آيات من الكتاب الكريم،واحاديث من أدعيه الصباح والمساء التي وردت في كتب السنة تقريبا ليس فيها شيء من الالفاظ الاعجمية أو التراكيب الفلسفية اوالعبارات التي هي الى الشطحات اقرب منها الى الدعوات .

وفي هذه الاثناء وقع في يدي كتاب المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي وهو شيخ الطريقة الأول ـ ووالد شيخها الحالي السيد الجليل الشيخ عبدالوهاب الحصافي مد الله في عمره ونفع الله به ـ والذي توفي ولم أره حيث كانت وفاتـه الخميس ١٧ من جمـــادي الآخر ١٣٢٨ الهجريـــة ، وكنت اذ ذاك في سن الرابعة فلم اجتمـــع به على كثرة تردده على البـــلد فأقبلت على القراءة فيه وعرفت منه كيف كان السيد حسنين رحمه الله عالما أزهريا تفقه على مذهب الامام الشافعي ودرس علوم الدين دراسة واسعة وامتلأ منهـا وتضلع فيها ثم تلقى بعد ذلك الطريق على كثير من شيوخ عصره،وجد واجتهد في العبادة والذكر والمداومة على الطاعات حتى انه حج أكثر من مرة وكان يعتمر مع كل حجة أكثر من عمرة.وكان رفقاؤه وأصحابه يقولون ما رأينـا أقوى على طاعة الله وأداء الفرائض والمحافظة على السنن والنوافل منه ـ رحمه الله ـ حتى في آخر أيام حياته وقد كبرت سنه ونيف عن الستين . ثم أخذ يدعو الى الله بأسلوب أهل الطريق ،ولكن في استنارة واشراق وعلى قواعـد سليمة قويمة ، فكانت دعوته مؤسسة على العلم والتعليم،والفقه والعبادة والطاعة والذكر،ومحاربة البدع والخرافات الفاشية بين أبناء هـذه الطرق،والانتصار للكتاب والسنة على أية حال ،والتحرز من التأويلات الفاسدة والشطحات الضارة

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وبذل النصيحة على كل حال حتى انه غير كثيراً من الأوضاع التي اعتقد انها تخالف الكتاب والسنة ،مما كان عليه مشايخه انفسهم . وكان اعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملك على لبي من سيرته رضي الله عنه شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه كان لايخشى في ذلك لومة لائم ولايدع الأمر والنهي مهما كان في حضرة كبير أوعظيم .ومن نماذج ذلك أنه زار رياض باشا حين كان رئيس الوزارة فدخل احد العلماء وسلم على الباشا وانحنى حتى قارب الركوع فقام الشيخ مغضباً وضربه على خديه بجمع يده ونهره بشدة قائلا : استقم يارجل فان الركوع لايجوز إلا لله ، فلا تذلوا الدين والعلم فيذلكم الله. ولم يستطع العالم ولا الباشا ان يؤاخذه بشيء . ودخل احد الباشوات من أصدقاء رياض باشا وفي اصبعه خاتم من الذهب وفي يده عصا مقبضها من الذهب كذلك ،فالتفت اليه الشيخ وقال:ياهذا ان استعمال الذهب في الحلية هكذا حرام على الرجال حل للنساء فأعط هذين لبعض نسائك ولا تخالف عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.وأراد الرجل أن يعترض ، فتدخل رياض باشا وعرف بعضهما ببعض والشيخ مصرّ على انه لابد من خلع المقبض والخاتم معاً حتى يزول هذا المنكر .

ودخل مرة على الخديوي توفيق باشا مع العلماء في بعض المقابلات فسلم على الخديوي بصوت مسموع فرد عليه الخديوي بالاشارة بيده ، فقال له في عزم وتصميم:«رد السلام يكون بمثله أو بأحسن منه ،فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»والرد بالاشارة وحدها لايجوز».فلم يسع الخديوي إلا ان يرد عليه باللفظ ويثني على موقفه وتمسكه بدينه .

وزار مرة بعض مريديه من الموظفين في بعض دوائر المساحة فرأى على مكتبه بعض تماثيل من الجبس فسأله:ماهذا يافلان ؟ فقال:هذه تماثيل نحتاج اليها في

عملنا. فقال: ان ذلك حرام. وامسك بالتمثال وكسر عنقه، ودخل المفتش الانجليزي في هذه اللحظة ورأى هذا المنظر فناقش الشيخ فيما صنع. فرد عليه ردا جميلا وافهمه ان الاسلام انما جاء ليقيم التوحيد الخالص وليقضي على كل مظهر من مظاهر الوثنية في اية صورة من صورها ولهذا حرم التماثيل حتى لا يكون بقاؤها ذريعة لعبادتها. وافاض في هذا المعنى بما طرب له المفتش الذي كان يظن ان في الاسلام لوثة من الوثنية، وسلم للشيخ واثنى عليه.

وزار مسجد السيد الحسين رضى الله عنه مع بعض مريديه ووقف على القبر يدعو الدعاء المأثور: «السلام على اهل الديار من المؤمنين» فقال له بعض المريدين «ياسيدنا الشيخ سل سيدنا الحسين يرضى عني» فالتفت اليه مغضباً وقال «رضى عنا وعنك وعنه: الله» وبعد ان أتم زيارته شرح لاخوانه احكام الزيارة واوضح لهم الفرق بين البدعة والشرعية منها.

وحدثني الوالد انه اجتمع بالشيخ رحمه الله في منزل وجيه من وجهاء المحمودية هو حسن بك ابو سيد حسن رحمه الله، مع بعض الاخوان فدخلت الخادم، وهي فتاة كبيرة، تقدم له القهوة وهي مكشوفة الذراعين والرأس فنظر اليها الشيخ مغضباً وامرها بشدة ان تذهب فتستتر وأبى ان يشرب القهوة والقى على صاحب المنزل درساً مؤثراً في وجوب احتشام الفتيات وان كن خدما وعدم اظهار الرجال الاجانب عليهن.

وله رحمه الله في ذلك امور في غاية الكثرة والدقة معاً وكذلك شأنه دائماً.

هذه الناحية هي التي اثارت في نفسي اعظم معاني الاعجاب والتقدير وكان الاخوان يكثرون من الحديث عن كرامات الشيخ الحسية فلم اكن اجد لها من الوقع في نفسي بعض ما أجد لهذه الناحية العلمية وكنت اعتقد ان اعظم كرامة أكرمه الله بها هي هذا التوفيق لنشر دعوة الاسلام على هذه القواعد السليمة وهذه الغيرة

العظيمة على محارم الله تبارك وتعالى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكل ذلك ولم تتجاوز سني الثانية عشرة .

* * *

وزادني تعلقا بالشيخ الجليل ـ رحمه الله ـ إنني رأيت في هذه الاثناء، وعلى أثر تكراري للقراءة في المنهل، فيما يرى النائم : انني ذهبت الى مقبرة البلد فرأيت قبراً ضخماً يهتز ويتحرك، ثم زاد اهتزازه واضطرابه حتى انشق فخرجت منه نار عالية امتدت الى عنان السماء وتشكلت فصارت رجلا هائل الطول والمنظر واجتمع الناس عليه من كل مكان فصاح فيهم بصوت واضح مسموع وقال لهم ايها الناس : إن الله قد اباح لكم ما حرم عليكم، فافعلوا ماشئتم. فانبريت له من وسط هذا الجمع وصحت في وجهه «كذبت» والتفت الى الناس وقلت لهم : «ايها الناس هذا ابليس اللعين وقد جاء يفتنكم عن دينكم ويوسوس لكم فلا تصغوا الى قوله ولا تستمعوا الى كلامه». فغضب وقال «لابد من ان نتسابق امام هؤلاء الناس فان سبقتني ورجعت اليهم ولم اقبض عليك فانت صادق». فقبلت شرطه وعدوت امامه باقصى سرعتي ، وأين خطوي الصغير من خطوه الجبار ، وقبل ان يدركني ظهر الشيخ ـ رحمة الله ـ من طريق معترض وتلقاني في صدره واحتجزني بيساره ورفع يمناه مشيراً بها الى هذا الشبح صائحاً في وجهه : « اخسأ يالعين » فولى الادبار واختفى ، وانطلق الشيخ بعد ذلك ، فعدت الى الناس وقلت لهم : ارأيتم كيف ان هذا اللعين يضلكم عن أوامر الله.

واستيقظت وكلي شوق وتقدير وترقب لحضور السيد عبد الوهاب الحصافي نجل الشيخ رحمه الله لأراه وأتلقى عنه الطريق ولكنه لم يحضر في هذه الفتره .

* * *

ويذكرني حديث المقبرة بما كان لأخينا في الله الشيـــخ محمد ابو شوشة التاجر بالمحمودية علينا من فضل في التربية الروحية ، اذ كان يجمعنا عشرة او نحوها ويذهب بنا الى المقبرة حيث نزور القبور ونجلس بمسجد الشيخ النجيلي

نقرأ الوظيفة ثم يقص علينا من حكايات الصالحين واحوالهم ما يرقق القلوب ويسيل العبرات ، ثم يعرض علينا القبور المفتوحة ويذكرنا بمصيرنا اليها وقد يأمر بعضنا بالنزول فيها والاضطجاع لحظة يتذكر فيها مصيره اليها ، وظلمة القبر ووحشته ويبكي فنبكي معه ، ثم نجدد التوبة في خشوع وحرارة واستحضار عجيب وندم وعزم ، ثم كثيرا ما كان يربط لكل واحد منا حول معصمه سوارا من الخيط الغليظ (الدوبارة) ليكون ذكرى التوبة ، ويوصينا بان احدنا اذا حدثته نفسه بالمعصية او غلبه الشيطان فليمسك بهذا السوار وليتذكر انه تاب الى الله وعاهده على طاعته وترك معصيته ، وكنا نستفيد من هـــذه النصيحة كثيرا وجزاه الله عنا خيرا .

* * *

وظللت معلق القلب بالشيخ رحمه الله حتى التحقت بمدرسة المعلمين الاولية بدمنهور وفيها مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذي لم يكن تم حينذاك ، وتم بعد ذلك ، فكنت مواظبا على زيارته كل يوم تقريبا وصحبت الاخوان الحصافية بدمنهور وواظبت على الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة وسألت عن مقدم الاخوان فعرفت انه الرجل الصالح التقي الشيخ بسيوني العبد التاجر ، فرجوته أن يأذن لي بأخذ العهد عليه ففعل ووعدني بأنه سيقدمني للسيد عبد الوهاب عند حضوره ، ولم أكن الى هذا الوقت قد بايعت احدا في الطريق بيعة رسمية وانما كنت محبا وفق اصطلاحهم .

وحضر السيد عبد الوهاب نفع الله به ـ الى دمنهور واخطرني الاخوان بذلك فكنت شديد الفرح بهذا النبأ ، وذهبت الى الوالد الشيـــخ بسيوني ورجوته ان يقدمني للشيخ ففعل ، وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم ٤ رمضان سنة ١٣٤١ الهجرية واذا لم تخني الذاكرة ، فقـــد كان يوافق يوم الاحد حيث تلقيت الحصافية الشاذلية عنه وأذنني بأدوارها ووظائفها .

وجزى الله عنا السيد عبد الوهاب خير الجزاء، فقد افادتني صحبته اعظم الفائدة وماعلمت عليه في دينه وطريقه الا خيرا ، وقدامتاز في شخصيته وإرشاده ومسالكه بكثير من الخصال الطيبة: من العفة الكاملة عما في أيدي الناس، ومن الجد في الامور، والتحرر من صرف الاوقات في غير العلم أو التعلم أو الذكر أو الطاعة او التعبد سواء أكان وحده امم مع اخوانه ومريديه، ومن حسن التوجيه لهؤلاء الاخوان وصرفهم عملياً الى الاخوة والفقه وطاعة الله .

واذكر من اساليبه الحكيمة في التربية انه لم يكن يسمح للاخوان المتعلمين ان يكثروا الجدل في الخلافيات او المشتبهات من الامور، او يرددوا كلام الملاحدة أو الزنادقة او المبشرين مثلا أمام العامة من الاخوان ، ويقول لهم اجعلوا هذا في مجالسكم الخاصة تتدارسونه فيما بينكم. اما هؤلاء فتحدثوا امامهم بالمعاني المؤثرة العملية التي توجههم الى طاعة الله ، فقد تعلق بنفس احدهم الشبهة ولا يفهم الرد فيتشوش اعتقاده بلا سبب، وتكونون انتم السبب في ذلك. واذكر ان من كلماته التي لاأزال احفظها والتي وجهها الي والى الاخ الاستاذ احمد السكري في بعض هذه الجلسات مامعناه : اني اتوسم ان الله سيجمع عليكم القلوب ويضم اليكم كثيراً من الناس فاعلموا ان الله سيسألكم عن اوقات هؤلاء الذين سيجتمعون عليكم افدتموهم فيها، فيكون لهم الثواب ولكم مثلهم ، ام انصرفت هباء فيؤاخذون وتؤاخذون ؟...

وهكذا كانت توجيهاته كلها الى الخير وما علمنا عليه الا خيرا وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين .

. . .

وفي هذه الاثناء بدا لنا ان نؤسس في المحمودية جمعية اصلاحية هي «الجمعية الحصافية الخيرية » واختير احمد افندي السكري التاجر بالمحمودية رئيساً لها وانتخبت سكرتيراً لها، وزاولت الجمعية عملها في ميدانين مهمين : الميدان الاول:

نشر الدعوة الى الاخلاق الفاضلة ، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبدع المآثم . والميدان الثاني :مقاومة الارسالية الانجيلية التبشيرية التي هبطت الى البلد واستقرت فيها،وكان قوامها ثلاث فتيات رأسهن مسز (ويت)،واخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب وتعليم التطريز وايواء الصبية من بنين وبنات ، وقد كافحت الجمعية في سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها في هذا الكفاح جمعية« الاخوان المسلمين »بعد ذلك .

واستمرت صلتنا على احسن حال بشيخنا السيد عبدالوهاب حتى انشئت جمعيات الاخوان المسلمين وانتشرت ،وكان له فيها رأي ولنا فيها رأي ،وانحاز كل الى رأيه، ولا زلنا نحفظ للسيد-جزاه الله عنا خيراً- أجمل مايحفظ مريد محب مخلص لشيخ عالم عامل تقي ، نصح فأخلص النصيحة وأرشد فأحسن الارشاد .

رأى في التصوف

ولعل من المفيد ان أسجل في هذه المذكرات بعض خواطر -حول التصوف والطرق في تاريخ الدعوة الاسلامية - تتناول نشأة التصوف وأثره وما صار اليه وكيف تكون هذه الطرق نافعة للمجتمع الاسلامي.وسوف لا أحاول الاستقصاء العلمي او التعمق في المعاني الاصطلاحية فانما هي مذكرات تكتب عفو الخاطر فتسجل مايتردد في الذهن وما تتحرك به المشاعر ،فان تكن صوابا فمن الله ولله الحمد ، وان تكن غير ذلك فالخير أردت ولله الامر من قبل ومن بعد :

حين اتسع عمران الدولة الاسلامية صدر القرن الاول،وكثرت فتوحها واقبلت الدنيا على المسلمين من كل مكان،وجبيت اليهم ثمرات كل شيء،وكان خليفتهم بعد ذلك يقول للسحابة في كبد السماء:شرقي اوغربي فحيثما وقع قطرك جاءني خراجه. وكان طبيعيا ان يقبلوا على هذه الدنيا يتمتعون بنعيمها ويتذوقون حلاوتها وخيراتها

في اقتصاد احيانا وفي اسراف أحيانا اخرى وكان طبيعيا امام هذا التحول الاجتماعي ، من تقشف عصر النبوة الزاهر الى لين الحياة ونضارتها فيما بعد ذلك ، ان يقوم من الصالحين الاتقياء العلماء الفضلاء دعاة مؤثرون يزهدون الناس فى متاع هذه الحياة الزائل ويذكرونهم بما قد ينسونه من متاع الآخرة الباقي : «وان الدارَ الاخرةَ لهيَ الحياتُ لو كانوا يعلمون » ومن اول هؤلاء الذين عُرفت عنهم هذه الدعوة - الامام الواعظ الجليل - الحسن البصري - وتبعه على ذلك كثير من اضرابه الدعاة الصالحين ، فكانت طائفة في الناس معروفة بهذه الدعوة الى ذكر الله واليوم الآخر والزهادة فى الدنيا وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه .

وطرأ على هذه الحقائق ماطرأ على غيرها من حقائق المعارف الاسلامية، فاخذت صورة العلم الذي ينظم سلوك الانسان ويرسم له طريقاً من الحياة خاصا مراحله الذكر والعبادة ومعرفة الله ونهايته الوصول إلى الجنة ومرضاة الله .

وهذا القسم من علوم التصوف، وأسميه « علوم التربية والسلوك »، لاشك انه من لب الاسلام وصميمه ولا شك ان الصوفية قد بلغوا به مرتبة، من علاج النفوس ودوائها ، والطب لها والرقي بها لم يبلغ اليها غيرهم من المربين ، ولا شك انهم حملوا الناس بهذا الاسلوب على خطة عملية من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيه ، وصدق التوجيه اليه ، وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الاحيان تأثراً بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات: كالمبالغة في الصمت والجوع والسهر والعزلة ...ولذلك كله أصل في الدين يرد اليه : فالصمت اصله الاعراض عن اللغو ، والجوع اصله التطوع بالصوم ، والسهر أصله قيام الليل ، والعزلة أصلها كف الاذى عن النفس ووجوب العناية بها... ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لكان في ذلك كل الخير .

• • •

ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علم السلوك والتربية ، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيراً لها وللناس ، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الاولى إلى تحليل الاذواق والمواجد، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الامم الماضية وافكارها . فخلطت بذلك الدين بما ليس منه، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق او ملحد أو فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة الى الزهد والتقشف، والرغبة في الحصول على هذه النتائج الروحية الباهرة. وأصبح كل مايكتب أو يقال في هذه الناحية يجب ان يكون محل نظر دقيق من الناظرين في دين الله والحريصين على صفائه ونقائه .

• وجاء بعد ذلك دور التشكل العملي للفكرة فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم كل على حسب اسلوبه في التربية . وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم، ونظمت الطوائف احيانا على هيئة النظم العسكرية ، واخرى على هيئة الجمعيات الخاصة .. حتى انتهت الى ماانتهت اليه اليوم من هذه الصورة الأثرية التي جمعت بقية الوان هذا التاريخ الطويل والتي يمثلها الآن في مصر مشيخة الطرق الصوفية ورجالها واتباعها .

• ولا شك ان التصوف والطرق كانت من اكبر العوامل في نشر الاسلام في كثير من البلدان وإيصاله الى جهات نائية ماكان ليصل اليها الا على يد هؤلاء الدعاة، كما حدث ويحدث في بلدان افريقيا وصحاريها ووسطها، وفي كثير من جهات آسيا كذلك .

ولا شك ان الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الاثر القوي في النفوس والقلوب، ولكلام الصوفية في هـــذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس ... ولكن هذا الخلط افسد كثيراً من هذه الفوائد وقضى عليها .

ومن واجب المصلحين ان يطيلوا التفكير في اصلاح هذه الطوائف من الناس واصلاحهم سهل ميسور ، وعندهم الاستعداد الكامل له ولعلهم اقرب الناس اليه لو وجهوا نحوه توجيهاً صحيحاً ، وذلك لا يستلزم اكثر من ان يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين والوعاظ الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات، والافادة من هذه الثروة العلمية ، وتخليصها مما علق بها ، وقيادة هذه الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة .

وا ذكر ان السيد توفيق البكري رحمه الله فكر في ذلك ، وقد عمل دراسات علمية عملية لشيوخ الطرق وألف لهم فعلا كتابا في هذا الباب، ولكن المشروع لم يتم ولم يهتم به من بعده الشيوخ ، واذكر من ذلك ان الشيخ عبد الله عفيفي رحمه الله كان معنياً بهذه الناحية وكان يطيل الحديث فيها مع شيوخ الازهر وعلماء الدين؛ ولكنه كان مجرد تفكير نظري لا أثر للتوجه الى العمل فيه . ولو أراد الله والتقت قوة الازهر العلمية بقوة الطرق الروحية بقوة الجماعات الاسلامية العملية ـ لكانت أمة لا نظير لها توجه ولا تتوجه وتقود ولا تنقاد وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شيء فيها وترشد هذا المجتمع الضال الى سواء السبيل .

أيام دمنهور

كانت ايام دمنهور ومدرسة المعلمين أيام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة ، ويقولون إن حياة الانسان تنقسم الى فترات منها هذه الفتره التي

صادفت السنوات التي اعقبت الثورة المصرية مباشرة من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٣ م. وكانت سني اذ ذاك من الرابعة عشر إلا أشهراً الى السابعة عشرة إلا أشهر كذلك ، فكانت فترة استغراق في التعبد والتصوف ، ولم تخل من مشاركة فعليه في الواجبات الوطنية التي القيت على كواهل الطلاب :

نزلت دمنهور مشبعاً بالفكرة الحصافية . ودمنهور مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصافي شيخ الطريقة الاول ،وفيها نخبة صالحة من الاتباع الكبار للشيخ . فكان طبيعيا ان اندمج في هذا الوسط ،وان استغرق في هذا الاتجاه . وضاعف في هذا الاستغراق ان استاذنا الحاج حلمي سليمان ، والذي لا يزال الى الآن مدرسا بدمنهور ، كان مثالا من أمثلة التعبد والصلاح والتقوى والتأدب بأدب الطريق ، وكانت بيني وبينه رابطة روحية خاصة لهذا السبب؛ وأن زميله وصديقه الاستاذ الشيخ حسن خزبك رحمه الله ـ وقد كان مدرسا بدمنهور ايضا ـ كان يعقد كثيرا من الاجتماعات العلمية والوعظية في بيته وكان يدرس الاحياء قبل صلاة الفجر من رمضان في مسجد الجيش ، وكان الحاج حلمي يصحبني معه الى تلك الاجتماعات ، فأجد نفسي وانا الطالب الصغير مع رجال كبار فيهم الاساتذة الذين يدرسون لي في المدرسة ،وغيرهم من العلماء والفضلاء ،وكلهم يشجعونني ويشجعون امثالي من الشباب على السير في هذه الطريق ، طريق طاعة الله فكانت هذه كلها عوامل للتشجيع والثبات على هذه الخطة التعبدية الصوفية

ولست أنسى مناقشاتي الطويلة مع استاذنا الشيخ عبد الفتاح ابو علام ،استاذ الشريعة والتفسير والحديث في المدرسة ،حول ما يثار من اعتراضات على الطرق والاولياء والصوفية . وكان الرجل يبتسم في النهاية ،ويشجعني على طاعة الله ويوصيني بالدراسة العميقة وإطالة النظر في أسرار التشريع الاسلامي وتاريخه وتاريخ المذاهب والفرق والطوائف لينكشف لي وجه الحق ،والحقيقة بنت البحث . ومع اختلافنا في الرأي في كثير من الاحيان فقد كنت اشعر

بعاطفة الاستاذتغمرني، ورغبته الصادقة في حسن توجيهي،فكنت أحبه واقدره ، ولا يتجاوز النقاش حد الادلاء بالحجه والرغبة في تعرف الحق .

ليالي الجيش

ولست أنسى في دمنهور ليالي مسجد الجيش أو مصلى الحطاطبة عند كوبري فلاقة ،فالقد تطور حضور درس الاستاذ الشيخ حسن خزبك قبل فجر رمضان الى اعتكاف ليال بطولها مع لفيف من الاخوان الحصافية الصالحين في هذا المسجد نصلي العشاء ثم نتناول قليلا من الطعام بحضرة الشيخ محمد عامر أو الشيخ حسين فوزي افندي المقيم بالقاهرة الان،ثم نذكر الله بعض الوقت ، وننام قليلا ،ونقوم نحو منتصف الليل للتهجد الى الفجر ،ثم قراءة الوظيفة والاوراد والانصراف بعد ذلك الى المدرسة ،الى الوعظ للطلاب والى العمل لغيرهم .

وكثيرا ما كنا نستيقظ ونحن في بيوتنا قبل الفجر بوقت طويل، لم تكن المساجد قد فتحت ابوابها فيه فنمضي الى مصلى على شاطيء ترعة الحطاطبة عند كوبري فلاقة حيث نصلي الى قبل الفجر ونسرع الى المسجد لندرك الجماعة .

الزيارات والصلات

وكنا في كثير من ايام الجمع التي يتصادف ان نقضيها في دمنهور ، نقترح رحلة لزيارة أحد الاولياء القريبين من دمنهور فكنا احياناً نزور دسوق فنمشي على اقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة ، حيث نصل حوالي الساعة الثامنة صباحا ، فنقطع المسافة في ثلاث ساعات وهي نحو عشرين كيلو مترا، ونزور ونصلي الجمعة،ونستريح بعد الغداء ،ونصلي العصر ونعود أدراجنا الى دمنهور حيث نصلها بعد المغرب تقريباً .

وكنا احيانا نزور عزبة النوام حيث دفن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر

من خواص رجال الطريقة الحصافية والمعروفين بصلاحهم وتقواهم ونقضي هناك يوما كاملا ثم نعود .

أيام الصمت والعزلة

وكانت لنا أيام ننذر فيها الصمت والبعد عن الناس فلا يتكلم أحدنا الا بذكر أو قرآن . وكان الطلبة على عادتهم ينتهزونها فرصة للمعاكسة ، فيتقدمون الى الناظر أو الأساتذة مبلغين أن فلانا الطالب قد أصيب في لسانه ويأتي الاستاذ ليستوضح الأمر ، فكنا نجيبه بآية من القرآن فينصرف . واذكر بالخير استاذنا الشيخ فرحات سليم رحمه الله ، الذي كان يحترم هذه الحالة فينا ويزجر الطلاب ويوصي بقية الاساتذة ألا يحرجوننا بالاسئلة في فترة صمتنا وكانوا يعلمون حقا أن ذلك ليس هربا من اجابة أو تخلصا من امتحان ، إذ كنا متقدمين دائماً في الدروس مجيدين لها اجادة تامة . وما كان نعرف الحكم الشرعي في هذا ولكننا كنا نفعل هذا الصمت تأديباً للنفس وفراراً من اللغو وتقوية للارادة حتى يتحكم الانسان في نفسه ولا تتحكم فيه .

ولقد كانت هذه الحالة تتطور في بعض الاحيان حتى تصل الى نفور من الناس يدعو الى العزلة وقطع للعلائق . حتى أنني اذكر أن خطابات بعض الاصدقاء كانت تأتيني الى المدرسة فلا أحاول ان أقرأها أوأفتحها ولكن أرفضها كما هي حتى لا يكون فيها تعلق بشيء جديد ، والصوفي متخفف يجب عليه أن يقطع علائقه بكل ما سوى الله وأن يجاهد في هذه السبيل ما أمكنه من ذلك .

الشعائر في المدرسة

ومع هذه الحال التي كانت تطرأ في كثير من الاحيان فقد كانت النزعة الى الدعوة تتغلب في كثير من الاحيان فكنت أؤذن الظهر والعصر في مصلى المدرسة ، وكنت أستأذن المدرس ، اذ كان وقت العصر يصادف حصة من الحصص ،

لأداء الأذان. وكنت أعجب لماذا لاتكون نظم الحصص خاضعة للمواقيت ونحن في مدارس اسلامية. وكان بعض الاساتذة يسمح وهو مسرور، وبعضهم يريد المحافظة على النظام فأقول له: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق. وأناقشه مناقشة حادة لايرى معها بدأ من السماح حتى يتخلص منها ومني — ولم أكن أذهب الى المنزل في فترة الظهر بل كان مقري فيها المصلى وفناء المدرسة لدعوة الزملاء الى الصلاة حتى اذا أذنت الفريضة جلست مع الاخ العزيز الاستاذ محمد شريف ـ المدرس بوزارة المعارف الآن ـ نقرأ القرآن معا هو يقرأ وانا أستمع أوأنا أقرأ وهو يستمع حتى يجيء موعد الدخـــول .

مشكلة حول الزي

وأذكر أني في يوم من الأيام، وقد دخلت حجرة ناظر مدرسة المعلمين لأسلم ورقة الغياب، اذ كنت المنوط بذلك في الفصل، ورأيت عنده مدير التعليم، وهو الاستاذ السيد راغب الذي كان في أوائل هذا العام مراقبا مساعدا بوزارة المعارف، فلفت زيي نظر مدير التعليم، اذ كنت ألبس عمامة ذات عذبة، ونعلا كنعل الاحرام في الحج، ورداء أبيض فوق الجلباب. فسألني لماذا البس هـذا الزي. فقلت: لانه السنة. فقال: وهل عملت كل السنن ولم يبق إلا سنة الزي؟ فقلت لا ونحن مقصرون كل التقصير، ولكن ما نستطيع أن نفعله نفعله. قال: وبهذا الشكل خرجت عن النظام المدرسي. فقلت له ولم ياسيدي ؟ إن النظام المدرسي مواظبة وأنا لم أغب عن الدروس أبدا ؛ وسلوك وأخلاق ، وأساتـــذتي راضون عني والحمد لله ؛ وعلم ودراسة ، وأنا أول فرقتي . ففيم الخروج عن النظام المدرسي إذن؟. فقال: ولكنك إذا تخرجت وأصررت على هذا الزي فسوف لايسمح مجلس المديرية بتعيينك مدرسا حتى لايستغرب التلاميذ هذا المظهر . فقلت : على كل حال هذا لم يجيء وقته بعد ، وحين يجيء وقته يكون للمجلس الحرية ويكون لي الحرية كذلك ، والأرزاق بيد الله ليست بيدي المجلس ولا الوزارة . فسكت

المدير وتدخل الناظر في الأمر ، فقدمني الى المدير بكلمة طيبة وصرفني فانصرفت وانتهت هذه المشكلة بسلام .

الحركة الوطنية

كانت الثورة المصرية سنة ١٩١٩م. وكنت إذذاك تلميذاً بالاعدادية بالمحمودية في سن الثالثة عشرة. ولا زالت تتراءى امام عيني مناظر المظاهرات الجامعة والاضراب الشامل الذي كان ينتظم البلد كله من أوله إلى آخره، ومنظر اعيان البلد ووجهائه وهم يتقدمون المظاهرات ويحملون أعلامها ويتنافسون في ذلك. ولازلت أحفظ تلك الأناشيد العذبة التي كان يرددها المتظاهرون في قوة وحماس :

حب الاوطان من الايمان وروح الله تنادينا
ان لم يجمعنا الاستقلال ففي الفردوس تلاقينا

ولازلت أذكر منظر بعض الجنود الانجليز، وقد هبطوا القرية ، وعسكروا في كثير من نواحيها، واحتك بعضهم ببعض الاهالي فأخذ يعدو خلفه بحزامه الجلدي... حتى انفرد الوطني بالانجليزي فأوسعه ضربا ورده على أعقابه خاسئا وهو حسير . ولازلت أذكر الحرس الأهلي الذي أقامه أهل القرية من أنفسهم وأخذوا يتناوبون الحراسة ليالي متعددة حتى لايقتحم الجنود البريطانيون المنازل ويهتكون حرمات الناس .

وكان حظنا من هذا كله كطلاب أن نضرب في بعض الاحيان وأن نشترك في هذه المظاهرات وأن نصغي الى أحاديث الناس حول قضية الوطن وظروفها وتطوراتها .

ذكريات وشعر

ولا زلت أذكر يوم دخل علينا أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح المدرس

بالمعارف بالاسكندرية الآن ـ والدموع تترقرق في عينيه فسألناه الخبر فقال : مات اليوم « فريد بك ». وأخذ يحدثنا عن سيرته وكفاحه وجهاده في سبيل الوطن حتى أبكانا جميعاً ، وأوحت الي هذه الذكرى ببضعة أبيات لازلت أحفظ مطلعها وشطراً آخر .

أفريد نم بالامن والايمان	أفريد لاتجزع على الاوطان
أفريد تفديك البلاد باسرها	. . . .

ولا زلت أذكر أحاديث الناس حول لجنة ملنر واجماع الامة على مقاطعتها وكيف كان هذا الشعور فياضاً غامراً حتى انه يدفع بتلميذ في الثالثة عشرة الى ان يقول :

ياملنر ارجع ثم سل	وفـــدا بباريس أقام
وارجع لقومك قل لهم	لاتخــــدعوهم يالئام

في قصيدة طويلة لاأذكر منها الا هذه الابيات .

ولقد جمعت من هذه البواكير الوطنية الفجة ديوانا كبيرا كان نصيبه الحرق الكامل بعد ذلك في فترة التصوف التي لازمت عهد مدرسة المعلمين. كما كان الاهمال حظ مؤلفات في الفقة على المذاهب الاربعة ، والادب على نمط قصة توددالجارية كتبتها مع الاخ الاستاذ محمد علي بدير في «صندرة» الجامع الصغير ثم أضاعها عهد العمل الذي كنت أرى فيه انالاشتغال بالعلم الكثير معطل عن العمل النافع والتفرغ لعبادة الله ، وحسب الانسان لدينه أن يتعرف مايصحح به أحكامه ، وحسب الانسان لدنياه أن يتعرف مايحصل به على رزقه ثم عليه بعد ذلك أن ينصرف بكليته وجهده ووقته الى العبادة والذكر والعمل .

اضرابات ومظاهرات

وبعد الانتقال الى مدرسة المعلمين كانت حركة الثورة قـد هدأت قليلا

ولكن بقيت الذكريات تتجددفتجددت معها الاضرابات والمظاهرات والاشتباك مع البوليس وكذلك كان شأننا في دمنهور . وكانت التبعات تقع أول ماتقع على الظاهرين من الطلاب والمتقدمين منهم ، وكنت رغم اشتغالي بالتصوف والتعبد أعتقد أن الخدمة الوطنية جهاد مفروض لامناص منه . فكنت بحسب هـذه العقيدة وبحسب وضعي بين الطلاب ـ اذ كنت متقدما فيهم ـ ملزما بان أقوم بدور بارز في هذه الحركات وكذلك كان .

ولست أنسى أستاذنا الشيخ الدسوقي موسى ناظر المدرسة، الذي كان يخشى هذه التبعات كثيراً ،وقدأخذ بيدنا الى مدير البحيرة حينذاك ـ محمود باشا عبد الرزاق ـ والقي مسئولية اضراب الغير علينا وقال : ان هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يقنعوا الطلاب بالعدول عن اضرابهم . وعبثاً حاول محمود باشا ان يقنعنا بالوعد أو بالوعيد أو بالنصح ، ثم صرفنا على أن نتدبر الامر . فكان تدبيرنا أن اوعزنا الى الطلاب جميعاً بالتفرق في الحقول المجاورة طول اليوم،وكان يوم ١٨ ديسمبر ذكرى الحماية البريطانية، وذهبنا نحن الى المدرسة،وسلمنا أنفسنا لادارتها ، وانتظرت...وانتظرنا من يجيء ولامن مجيب ، فانصرفنا بعد فترة وتم الاضراب وانتهى اليوم بسلام .

• • •

ولست أنسى يوم أضرب الطلاب في يوم من الايام الثائرة،واجتمعت اللجنة في سكننا في منزل الحاجة خضرة شميرة بدمنهور ،وداهم البوليس المجتمعين واقتحم البيت يسأل عنهم، فكان جوابها :انهم خرجوا منذ الصباح الباكر ولم يعودوا! وأنها مشغولة كما رآها « بتنقية البقلة » .ولكن هذا الجواب غير الصادق لم يرقني فخرجت الى الضابط السائل وصارحته بالامر ـ وكان موقف الحاجة خضرة حرجا للغاية ـ وناقشته بحماس وقلت له إن واجبه الوطني يفرض عليه أن يكون معنا ،لاأن يعطل عملنا،ويقبض علينا.ولا أدري كيف كانت النتيجة أنه استجاب

لهذا القول فعلا ، فخرج وصرف عساكره وانصرف معهم بعد ان طمأننا ورجعت الى الزملاء المختبئين وأنا أقول لهم هذه بركة الصدق ولا بد أن نكون صادقين ونتحمل تبعة عملنا ولا لزوم للكذب أبداً مهما كانت الاحوال .

بين المحمودية و دمنهور

كنت أمضي الاسبوع المدرسي في دمنهور وأعود ظهر الخميس إلى المحمودية حيث أمضي ليلة الجمعة وليلة السبت ثم اعود صباح السبت الى المدرسة فأدرك الدرس الاول في موعده وكانت لي في المحمودية مآرب كثيرة تقضى في هذه الفترة ، غير زيارة الاهل وقضاء الوقت معهم ، فقد كانت الصداقة بيني وبين الاخ أحمد أفندي السكري قد توثقت أواصرها إلى درجة أن أحدنا ما كان يصبر أن يغيب عن الآخر طول هذه الفترة أسبوعاً كاملا دون لقاء — يضاف إلى ذلك أن ليلة الجمعة في منزل الشيخ شلبي الرجال بعد الحضرة يتدارس فيها كتب التصوف من الاحياء وسمع أحوال الاولياء والياقوت والجواهر وغيرها ونذكر الله الى الصباح كانت من أقدس مناهج حياتنا ، وكنت قد تقدمت في صناعة الساعات وفي صناعة التجليد أيضاً أقضي فترة النهار في الدكان صانعاً وفترة الليل مع الاخوان الحصافية ذاكرا ولهذه المآرب جميعاً لم اكن استطيع ان اتخلف عن الحضور يوم الخميس الا لضرورة قاهرة ، وكنت انزل من قطار الدلتا الى الدكان مباشرة فأزاول عملي في الساعات الى قبيل المغرب حيث اذهب الى المنزل لافطر اذ كان من عاداتنا صوم الخميس والاثنين ؛ ثم الى المسجد الصغير بعد ذلك للدرس والحضرة ثم الى منزل الشيـــخ شلبي الرجال او منزل احمد افندي السكرى للمدارسة والذكر ثم الى المسجد لصلاة الفجر وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب الى الدكان وصلاة الجمعة والغذاء والدكان الى المغرب فالمسجد فالمنزل وفي الصباح الى المدرسة وهكذا دواليك في ترتيب لا أذكر

انه تخلف اسبوعاً الا لضرورة طارئة .

في الاجازة الصيفية

وكانت الاجازة الصيفية ظرفا مناسبا لتطبيق هذا المنهاج يوميا ويدخل عليه عمل جديد هو المذاكرة كل صباح من طلوع الشمس تقريبا الى الضحوة الكبرى مع استاذنا الشيخ محمد خلف نوح في منزله حيث بدأنا بألفية ابن مالك نحفظها ونقرأ عليها شرح ابن عقيل ونتدارس فيها كتباً أخرى في الفقه والاصول والحديث مما كان له اكبر الأثر في تهيئة دخولي لدار العلوم مع انني لم اكن أفكر في دخولها حينذاك وانما كنا نقول نطلب العلم لمجرد العلم .

نداء الصباح

وكان من اعمالنا بالمحمودية خلال الاجازة الصيفية او في صباح الجمعة أن نتقاسم احياء القرية وكنا ثلاثة او نزيد في بعض الاحيان ، الاخ محمد افندي الدمياطي والاخ عبد المتعال سنكل لنوقظ الناس لصلاة الصبح قبل الفجر بقليل وبخاصة الاخوان منهم ، وكنت أجد سعادة كبرى وارتياحا غريبا حين اوقظ المؤذنين لآذان الصبح ثم اقف بعد ذلك في هذه اللحظة السحرية الشاعرة على نهر النيل واصغي الى الاذان ينطلق من حناجرهم في وقت واحد اذ كانت المساجد على مسافات متقاربة في القرية ، ويخطر ببالي انني سأكون سبباً ليقظة هذا العدد من المصلين وان لي مثل ثوابهم مصادقة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من دعا الى هدى فله اجره ، وأجر من عمل به الى يوم القيامة . لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً . » وكان يضاعف هذه السعادة ان اذهب بعد ذلك الى المسجد فأرى نفسي اصغر الجالسين فيه ، في هذا الوقت سنا فأحمد الله واسأله أن يديم التوفيق .

التمهيد لدخول دار العلوم

كانت ايام مدرسة المعلمين في سنواتها الثلاث ايام استغراق في التصوف والتعبد ولكنها مع ذلك لم تخل من اقبال على الدروس وتحصيل العلم خارج حدود المناهج المدرسية ، ومرد ذلك الى امرين فيما اظن اولهما مكتبة الوالد وتشجيعه اياي على القراءة والدرس واهدائه اياي كتباً لا أزال احتفظ ببعضها ومن اعمقها اثرا في نفسي: الانوار المحمدية للنبهاني مختصر المواهب اللدنيـــة للقسطلاني و«نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضري» ، وقد كونت لي بناء على هذا التوجيه وما تولد منه من شغف بالمطالعة واقبال عليها مكتبة خاصة فيها مجلات قديمة وكتب متنوعة . وكنت وانا في المحمودية في المدرسة الاعدادية ارقب الشيخ حسن الكتبي يوم السوق بفارغ الصبر لاستأجر كتباً بالاسبوع لقاء مليمات زهيدة ثم اردها اليه لآخذ غيرها وهكذا . .

وكان من اشد هذه الكتب في هذا الدور واعمقها أثرا في نفسي قصة الاميرة ذات الهمة . واذا ذكرت ما كنا نطالع من قصص كلها حماسة وشجاعة وذود عن الوطن واستمساك بالدين وجهاد في سبيل الله وكفاح لنيل العلا والمجد ، ثم ذكرت ما يطالع شباب اليوم وناشئوه من روايات كلها ميوعة وخنوثة وضعف وانحلال أدركت مدى التطور الغريب بين ثقافة الأمس العامة وثقافة اليوم العامة كذلك ، وأعتقد أننا في أشد الحاجة الى غربلة هذا الغذاء الثقافي الذي يقدم الى الجيل الجديد في صورة كتب أو روايات أو صحف أو مجلات .

وكان العامل الثاني ان مدرسة المعلمين حينذاك قد جمعت نخبة من فضلاء الاساتذة ـ مثل أستاذنا عبد العزيز عطية ناظر مدرسة المعلمين بالاسكندرية الآن ورئيس الاخوان بها ، وأستاذنا الشيخ فرحات سليم رحمه الله ، وأستاذنا الشيخ عبد الفتاح ابو علام ، وأستاذنا الحاج علي سليمان ، وأستاذنا الشيخ احمد البسيوني جزاهم الله خيراً ـ امتازوا بالصلاح والخير وتشجيع طلابهم على البحث

والدرس وكانت لي بحضراتهم صلة روحية كنت أجد فيها الكثير من التشجيع . ولازلت أذكر ان الاستاذ عبد العزيز عيطة ، وقد كان يدرس لنا التربية العملية وقد ، اجرى لنا اختباراً شهرياً فأعجبته إجابتي فكتب على الورقة أحسنت جداً ولو كان هناك زيادة على النهاية لأعطيتك . وحجز الورقـــة بيده عند توزيع الأوراق ، ثم طلبني وسلمها إلي وزودني بكثير من عبارات النصح والتشجيع والحث على القراءة والدرس والمطالعة واختصني بتصحيح بعض بروفات كتابه « المعلم » في التربية الذي كان يطبع اذ ذاك بمطبعة المستقبل بدمنهور .

كان لهذه العوامل أثرها في نفسي فحفظت وأنا في هذه المرحلة من التعليم خارج المناهج المدرسية كثيراً من المتون في العلوم المختلفة فحفظت ملحة الاعراب للحريري ثم الالفية لابن مالك والياقوتية في المصطلح والجوهرة في التوحيد والرحبية في الميراث وبعض متن السلم في المنطق وكثيرمن متن القدوري في فقه أبي حنيفة ومن متن الغاية والتقريب لأبي شجاع في فقه الشافعية وبعض منظومة ابن عامر في مذهب المالكية ولست انسى ابـــداً توجيه الوالد لي بالعبارة المأثورة « من حفظ المتون حاز الفنون » ولقد كان أثرهـــا في نفسي عميقا الى درجة أني حاولت حفظ متن الشاطبية في القراءات مع جهلي التـــام بمصطلحاتها وحفظت مقدمتها فعلا ولا زلت أحفظ بعضها الى الآن .

ومن الطرائف أن بعض المفتشين زارنا في حصة من حصص اللغة العربية بالسنة الثالثة الاعدادية ولم أكن أحفظ حينذاك الا ملحة الاعراب للحريري فسأل عن علامة الاسم وعلامة الفعل في القواعد ثم سأل عن علامة الحرف فانتدبني الاستاذ للاجابة وهـــو الاستاذ الشيخ محمد علي النجار حينذاك فـكان الجواب بيتا من الملحة وهو قول الحريري :

والحرف ما ليست له علامة فقس على قولي تكن علامة

فابتسم الرجل وقال حاضر ياسيدي سأقيس على قولك لأكون علامـــة

وشكر للاستاذ وانصرف .

هذه الثروة العلمية وجهت نظر بعض اخواننا الذين كانوا يعدون أنفسهم للتقدم الى دار العلوم العليا في ذلك الوقت من مدرسي المدرسة الأولية الملحقة بالمعلمين الى أن يعرضوا على أن نـــذاكر معا لنتقدم معا وفي مقدمتهم الأخ العزيز الشيخ علي نوفـــل ، حينذاك، والاستـــاذ علي نـــوفـــل الآن. وقـــد رغب في أن نـــذاكر معـا ونتقدم معـا الى دار العلوم العليا وكانت دار العلوم حينئـذ قسمين : القسم التجهيزي ،وهـــذا يتقـدم اليه من شاء من طلاب الأزهر ومدارس المعلمين ؛والقسم العالي المؤقت ويتقدم اليه من شاء كذلك من هؤلاء الطلاب ويكونون غالبا قد حصلوا على الشهادة الثانوية الأزهرية.وكان القسم العالي هذا لم يبق للتقدم اليه إلا هذا العام- عام ٢٣ - ٢٤ الدراسي-ثم يلغى ليحل محله القسم العالي الذي يستمد من التجهيزي ، وقد أراد بعض اخواننا من طلاب المعلمين أن يتقدم إلى هـــذا القسم التجهيزي و كثر الاقبال على القسم العالي المؤقت على اعتبار انها الفرصة الوحيـدة لمن يريدون اللحاق بـــه .

أراد الاستاذ الشيخ علي نوفل ان نذاكر معا ،وكنت في السنة الثالثة، أي في السنة التي سأؤدي فيها امتحان شهادة الكفاءة للتعليم الاولى ؛ وكان هو مدرسا بالملحقة المعلمين .فاعتذرت عن المذاكرة معه ولكنه دخل علي من باب حقوق الأخوة ووجوب معاونـة الاخوان والاستماع لرأيهم فـلم أر بـداً من الاصغاء اليه .

رأي في العلم والشهادات

كان لى في هذه الأيام رأي في العلم وطلبه والشهادات والحصول عليهـا كان أثراً من آثار مطالعتي الاحياء : لقد كنت محباً للعلم حباً جما ، وكنت شديد

الميل الى القراءة والاستزادة من العلم ، وكنت مؤمناً بفائدة العلم للفرد وللجماعة ووجوب نشره بين الناس حتى أني اذكر أنني عزمت على إصدار مجلة شهرية أسميتها « الشمس » وكتبت منها العددين الأول والثاني تقليداً لأستاذنا الشيخ محمد زهران الذي كان يصدر مجلة «الاسعاد» الشهرية وتشبها بمجلة المنار التي كنت كثير المطالعة فيها . ولكن طريقة الغزالى وأسلوبه في ترتيب العلوم والمعارف وطلب العلم كانت قد أثرت في نفسي تأثيراً شديداً فكنت في صراع عنيف :

هذه الرغبة الملحة تدعوني الى الاستزادة من طلب العلم وارشادات الامام الغزالي ، وتعريفه العلم الواجب بأنه العلم المحتاج اليه في أداء الفرائض وكسب العيش ثم الانصراف بعد ذلك الى العمل ، تدعوني الى الاخذ بالضروري وترك ماسواه وعدم ضياع الوقت فيه .

وجاءت فكرة التقدم الى دار العلوم وما يتبعها من بعثة الى الخارج المتقدمين الأوائل في دبلومها ، فاشتد هذا الصراع وقوي . وكنت أقول لنفسي دائماً : لماذا نريد أن ندخل دار العلوم ؟ هل للجاه حتى يقول الناس انك مدرس عال لامدرس أولى ـ وهذا حرام لأن طلب الجاه والحرص عليه داء من أدواء النفس وشهوة من شهواتها يجب مقاومتها — أوللمال حتى يتضاعف مرتبك وتجمع الأموال وتلبس الملابس الفاخرة وتطعم المطاعم اللينة وتركب المراكب الفارهة ؟ وهذا شر ما يعمل له إنسان و« تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم تعس عبدة القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلاانتقش . » ، وصدق الله العظيم : «زُين للناس حبُ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرةِ من الذهبِ والفضة والخيلِ المسومةِ والأنعامِ والحرثِ :ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أونبئكم بخيرٍ من ذلكم: للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها » الآيات — أو للتكاثر بالعلم والمعرفة لتنافس العلماء

أو تماري الجهلاء أو تستعلي على الناس بالحق ؟ وأول من تسعّر به النار يوم القيامة : من تعلم لغير الله ولم يعمل بعلمه . وأشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه . وقد تقول لك نفسك إنك تتعلم لتكون عالماً تنفع الناس وان الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير وإنما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما — فقل لها اذا كنت صادقة في أنك تريدين العلم لافادة الناس ابتغاء مرضاة الله فلم تريدين دخول دار العلوم والعلم في الكتب وعند الشيوخ والعلماء ؟، والشهادة فتنة ، وهي المطية إلى الدنيا وإلى الحياة والمال ، وهما سم قاتل ، محبط للأعمال ، مفسد للقلوب والجوارح . فتعلمي من الكتب ولا تعلقي بالشهادات المدرسية ولا بالدبلومات الرسمية .

كادت هذه الفلسفة تتغلب على نفسي ، بل هي قد تغلبت فعلا . فلم اذاكر مع الاخ الأستاذ علي نوفل تذمما — ولكن أستاذنا الشيخ فرحات سليم رحمه الله ، وكان يحبني حباً جما ويظهر عطفه علي في كل مناسبة ، وينزل من نفسي منزلة كريمة ، استطاع بلباقة ولطف أن يدفعني إلى المذاكرة بجد ، وإلى التقدم إلى دار العلوم فعلا . وكان من قوله إنك الآن على أبواب شهادة الكفاءة والعلم لا يضر ، وتقدمك إلى امتحان دار العلوم تجربة للامتحانات الكبيرة ، وهذه فرصة لا تعوض ، فتقدم لتحفظ لنفسك حقها ، وأنا واثق من نجاحك إن شاء الله ؛ ثم أمامنا بعد ذلك مجال تفكر فيه كما تشاء ولك أن ترفض أو تدخل . وهكذا استطاع بتأثيره القوي أن يدفعني دفعاً إلى التقدم بطلبي مع المتقدمين فتقدمت ، وكان الامتحان قبل امتحان شهادة الكفاءة بفترة قليلة .

طريقتان

وأحب ان أسجل هنا ذكريان أحداهما عملية والأخرى نظرية ، أعجبت

بها واسترعتا تفكيري فترة من الوقت :

أما أولاها فذكرى العلامة المفضال الشيخ احمد الشرقاوي الهوريني رحمه الله ، والذي لم أره إلا مرة واحدة : حين زار أبناءه وطلابه ومريديه وأحباءه بدمنهور ، وتفقد شئونهم في منازلهم وبيوتهم ، وقضى معنا ليلة لم يخرج فيها عن طبعه المألوف . وعرفت عن الرجل ما جعلني أكبره ولاأزال أذكره ـ عرفت عنه أنه أحب العلم والتعليم من كل قلبه فدفع إليه أهل بلدته ، وكان يعين غير القادرعلى نفقات التعليم من ماله الخاص حتى يتم تعليمه ،ثم بعد انيتخرج يعمل على أن ينفق على طالب آخر من غير القادرين حتى يرد الدين ـلانقدا ، ولكن علماً ومعرفة . وبهذه الطريقة لم يكن في هورين عاجز عن التعليم مهما كان أهله فقراء ، فقد أغناهم جميعاًهذا التكافل العلمي ، فضلا عن تلك الرابطة الروحية التي كانت تجمع بين هؤلاء المتعلمين جميعا وكانت متعة الرجل الوحيدة أن يتجمعوا من حوله ، فيالاجازة الصيفية فيرى عشرين أزهرياً إلىجوار عشرين درعميا ـكما كانيسمى طلاب دارالعلوم ـالى جانب خمسين منطلاب دار المعلمين الأولية ... الى أعداد كثيرة من طلاب المعاهد على اختلاف أنواعها يذاكرهم ويسامرهم ويورد عليهم الألغاز والاعتراضات ويتلقى منهم الأسئلة والاجابات ويشحذ بذلك الأذهان والهمم الى الدرس والعلم والمعرفة ـ ومن هنا كان طلاب المعلمين الأولية بدمنهور الهورينين عدداً عظيما ، وقد زارهم زيارة تشجيعية قضاها في هذه النكات والمحاورات العلمية ولمانج من أسئلته واعتراضاته وألغازه وايراداته رحمه الله وافسح له في جنته .

والذكرى الثانية ذكرى الشيخ صاوي دراز رحمه الله،وهو شاب فلاح ، كان حينذاك لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، وقد توفي بعد ذلك إلى

رحمه الله ، ولكنه كان نادراً في الذكاء ودقـــة الفهم ، وتصوير الأمور ، أخـذنا نتحدث عن الأولياء والعلم ، وتطرق بنـا الحديث الى سيدي إبراهيم الدسوقي المجاور لبلدهم ، ثم الى سيدي احمد البدوي بطنطا فقال : أتدري ما نبأ سيدي احمدالبدوي ؟. فقلت له : لقدكان ولياً كريماً وتقياً صالحا وعالماً فاضلا .
فقال : ذلك فقط ؟... فقلت هذا ما نعلم ، فقال : اسمع وأنا أحدثك :

جاءالسيد البدوي إلى مصر من مهجره من مكة وكان أهله من المغرب،ولما نزل مصر كانت محكومة بالماليك مع أن ولايتهم لاتصح لأنهم ليسوا أحرارا وهو سيد علوي اجتمع له النسب والعلم والولاية وأهل البيت يرون الخلافة حقاً لهم ، وقد انقرضت الخلافة العباسية وانتهى أمرها في بغداد وتفرقت أمم الاسلام دويلاتصغيرة يحكمهـا أمراء تغلبوا عليها بالقوه : ومنهم المماليك هؤلاء .فهناك أمران يجب على السيدأن يجاهدفي سبيلهما .اعادةالخلافة واستخلاص الحـكم من ايدي المماليك الذين لاتصح ولايتهم . كيف يفعل هذا ؟. لابد من ترتيب خاص . فجمع بعض خواصهومستشاريه ـ ومنهم سيدي مجاهدو سيدي عبد العال وأمثالها ـ واتفقوا على نشر الدعوة وجمع الناس على الذكر والتلاوة وجعلوا اشاراة هذ الذكر السيف الخشبي أوالعصا الغليظة لتقوم مقام السيف والطبل يجتمعون عليه ، والبيرق ليكون علماً لهم والدرقة: وهذهشعائرالأحمدية ، فاذا اجتمع الناس على ذكر الله وتعلموا أحكام الدين استطاعوا بعد ذلك أن يشعروا وأن يدركوا ما عليه مجتمعهم من فساد في الحـكم وضياع في الخلافـة فدفعتهم النخوة الدينية ، واعتقاد واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الى الجهاد في سبيل تصحيح هذه الأوضاع . وكان هؤلاء الاتباع يجتمعون كل سنة . واختارالسيدطنطا مركزاً لحركته ـ لتوسطها فيالبلدان العامرة في مصر . ولبعدها عن مقر الحـكم ـ فاذا اجتمع الأتباع سنويا على هيئة « مولد »

استطاع هو أن يدرك الى أي مدى تأثر الناس بالدعوة .ولكنه لا يكشف لهم عن نفسه بل يعتكف فوق السطح ويضرب اللثام مضاعفا ليكون ذلك أهيب في نفوسهم ، وهذا هو عرف ذاك الزمان حتى كان أتباعه يشيمون أن النظرة بعوتة . فمن أراد أن ينظر إلى القطب فليستغن عن حياته في سبيل هذه النظرة وهكذا انتشرت هذه الدعوة حتى اجتمع عليها خلق كثير .

ولكن الظروف لم تكن مواتية لتنجح هذه الحركة ، فقد تولى مصر الظاهر بيبرس البندقداري ؛ فانتصر على الصليبيين مرات ، وانتصر على التتار مع المظفر قطز . ولمع اسمه وارتفع نجمه واحبه العامة ، ولم يكتف بذلك بل استقدم أحد أبناء العباسيين وبايعه بالخلافة فعلا ، فقضى على المشروع من أساسه ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل احسن السياسة مع السيد واتصل به ورفع من منزلته وكلفه بأن يكون القيم على توزيع الاسرى حين تخليصهم من بلاد الاعداء لاهليهم لما في ذلك من تكريم وإعزاز ، وكل ذلك قبل تمام هذا المشروع الخطير . واستمر الملك والحكم فعلياً في المماليك واسمياً لهذا الخليفة الصورى حيناً من الدهر .

كنت اسمع هذا التعليل والتسلسل في تاريخ السيد البدوي وأنا أعجب لعقلية هذا الشاب الفلاح الذي لم يتعلم أكثر من التعليم الاولى في القرية ، وكم في مصر من ذكاء مقبور وعقل موفور لو وجد من يعمل على اظهاره من حيز القوة الى حيز الفعل ؟!... ولا زالت كلمات الشيخ الصاوي دراز رحمه الله تتمثل لي كأنما أسمعها الآن ، وفيها عبرة وفيها طرافة والامور بيد الله ، إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

الى القاهرة

وأعود فأقول انني تقدمت الى دار العلوم وأخطرت بعد ذلك بموعد الكشف الطبي

والامتحان . وكان علي ان أستجيب للدعوة وأن أسافر الى القاهرة لادائها . وكان ذلك في رمضان . أراد الوالد أن يصحبني فلم أر لذلك موجباً ، واكتفيت بأن زودني بالدعوات الطيبات ، ووصف لي الطريق ، وأعطاني خطاباً الى صديق له من كبار تجار الكتب الميسورين بالقاهرة طالما قام له الوالد بخدمات جليلة معتقداً فيه الصلاح والوفاء والخير .

ووصلت الى القاهرة لاول مرة في حياتي ، وكانت سني حينذاك قد أربت على السادسة عشرة بشهور ، ونزلت في باب الحديد مع العصر تقريباً ، وركبت الترام إلى العتبة ، ثم السوارس الى سيدنا الحسين حيث نزلت وقصدت دكان هذا التاجر وسلمته الخطاب فلم يكترث به ولم يعبأ بما فيه وكل الذي فعله انه كلف احد عمال المحل بملاحظتي . وكان العامل رجلا صالحاً كريماً ، وللوالد ولي به معرفة سابقة ، فرحب بي وأكرمني واخذني الى منزله فأفطرنا وخرجنا نقضي بعض الوقت وعدنا الى المنزل للسحور ؛ ونمت بعد صلاة الصبح ؛ واستيقظت مبكراً أطالب صاحبي بأن يدلني على مدرسة دار العلوم حيث قد سبقني اليها بعام الصديق الحميم والاخ الكريم الاستاذ محمد شرف حجاج ـ المدرس بالمعارف الآن ـ لألقاه لاستوضح منه طريقة الكشف الطبي والامتحان . وقد دلني العامل الطيب على طريقة الوصول الى دار العلوم فركبت السوارس الى العتبة ثم الترام الى شارع قصر العيني مقابل دار العلوم وانتظرت خروج الطلاب حيث لقيت صديقي وتعانقنا وأخذ بيدي الى منزله في حارة عبد الباقي ببركة الفيـــل بالدور الثاني حيث كان يسكن مع فريق من الطلاب .

كان عملي في اليوم الثاني منذ الصباح أن قصدت الى ذلك التاجر الكتبي ، بعد أن ذهب صديقي المدرسة ، ليدلني على صانع نظارات ليصنع لي نظارة طبية استعداد للكشف ولكنه أعرض كعادته فلم أشأ أن أضيع الوقت ، وذهبت من فوري

الى الأزهر ودخلته لأول مرة وراعني ما رأيته من سعته وبساطته ، وحلق الطلاب فيه يدرسون ويذاكرون ووقفت على الحلق واحدة فواحدة ثم رأيت حلقة يتحدث أهلها عن دخول دار العلوم ، وفهمت أنهم متقدمون لامتحانها الذي سيكون بعد نحو عشرة آيام ، وللكشف الذي سيتم بعد ثلاثة أيام تقريبا فاندمجت فيهم ، وتحدثت اليهم عن رغبتي وعن حاجتي إلى من يرشدني ، إلى طبيب لأصنع نظارة طبية ، فتطوع معي أحدهم وقام من فوره إلى عيادة دكتورة يونانية فيما أظن ولكنها متمصرة ، وصفها بالحذق والمهارة ، وانها صنعت له نظارة مناسبة مع اعتدال القيمة ، وعندما وصلنا إليها بدأت عملها وأخذت في نظير الكشف خمسين قرشا ، ودلتنا على محل النظارات الذي أخذ بدوره ثمنا للنظارة مائة وخمسين قرشا وأنجز النظارة فورا وبذلك لم يبق أمامي إلا انتظار الكشف بعد يومين .

الكشف الطبي

ولست أبالغ حين أقول إن التوفيق حالفني في هذا الكشف محالفة عجيبة في الوقت الذي رأيت بعض من أعرف يخونهم الحظ «وسبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولاملامة». لقد كان الأطباء ثلاثة ؛ وكنت آخر اسم في كشف أولهم وهو أطيبهم وأيسرهم كشفا ـ وكان الأخ الاستاذ علي نوفل من نصيب ثالثهم . وهو أقساهم قلبا وكشفا . وبقدر ما كانت نسبة النجاح عند طبيبي عالية ، كانت نسبة الرسوب عند هـذا الآخر أعلى . فنجحت مع شكي التام في النجاح ورسب هو مع تأكده التام من سلامة بصره وبدنه ومع استعداده الكامل لهـذا النجاح .

وأوصاه الطبيب بعمل نظارة يعيد بها الكشف ففعل ولكن خبث هـذا حال بينه وبين النجاح مرة ثانية فضاعت منه الفرصة ولكنه بعد ذلك انتسب

الى كلية الآداب قسم اللغة العربية وثابر على هذا الانتساب حتى ظفر بالليسانس منها وصاحب الهمة لا يعجزه شيء .

اسبوع في الازهر

ظهرت نتيجة الكشف وكانت في الحقيقة مفاجأة لي أن كنت من الناجحين ولذلك واجهت مهمة الامتحان في جد لا هزل معه فلم يكن الا الجد ولم يبق الا أسبوع واحد فلا ينفع الا التبتل؛ وقد كان. فقد حملت أمتعتي و كتبي ويممت شطر الازهر المعمور وهناك، في القبلة القديمة بالضبط ، حططت رحالي. وتعرفت الى بعض الزملاء المتقدمين الى دار العلوم، ونوينا الاعتكاف هذا الاسبوع للعلم وللبركة معاً. نتناوب الخروج لاحضار طعام الافطار والسحور ونتناوب الحراسة في النوم فلا ننام الاغرارا. وقاتل الله علم العروض فلم أكد أفقه شيئاً من زحافه وعلله وضروبه وقوافيه وكان جديداً علي بكل معنى الكلمة ؛ ولكني أخذت أستذكر والسلام — وما كنت أخشى العلوم الرياضية والمدنية ولكني كنت أخشى النحو والصرف اذ كنت أتصور أنني لا أشق فيهما غبار الطلاب المتقدمين من الازهر بين الذين جاوزوا الشهادة الاهلية ودرسوا في السنوات العالية . نعم إنني أحفظ الالفية، وقرأت لنفسي شرح ابن عقيل عليها، وشاركني الوالد في بعض هذه الشؤون . ولكنها لم تكن الدراسة المنظمة التي تهدأ معها النفس، ويسكن اليها القلب .

وجاءت أيام الامتحان ومرت بسلام ولا زلت أذكر بيت العروض الذي امتحنا فيه ؛ وأذكر أنه طلب الينا أن نقطعه ونذكر ما فيه من علل وزحاف ومن أي بحر هو :

لو كنت من شيء سوى بشر   كنت المنور ليلة البدر

رؤيا صالحة

وان من فضل الله تبارك وتعالى أنه يطمئن ويسكن نفوس عباده واذا أراد

أمرا هيأ له الاسباب فلا زلت أذكر ان ليلة امتحان النحو والصرف (وايسر الجبر كما جاء في بعض القول) رأيت فيما يرى النائم: انني أركب زورقاً لطيفاً مع بعض العلماء الفضلاء والاجلاء يسير بنا الهوينا في نسيم رخاء على صفحة النيل الجميلة؛ فتقدم احد هؤلاء الفضلاء، وكان في زي علماء الصعيد، وقال لي: أين شرح الالفية لابن عقيل؟. فقلت: ها هو ذا. فقال: تعال نراجع فيه بعض الموضوعات؛ هات صفحة كذا، وصفحة كذا. لصفحات عينها. وأخذت أراجع موضوعاتها حتى استيقظت منشرحا مسروراً. وفي الصباح جاء الكثير من الاسئلة حول هذه الموضوعات فكان ذلك تيسيراً من الله تبارك وتعالى. والرؤيا الصالحة عاجل بشرى المؤمن والحمد لله رب العالمين.

مدرسة بخريبتا بحيرة

عدت من القاهرة بعد الامتحان. وبعد قليل أديت امتحان كفاءة التعليم الاولى. وظهرت النتيجة فكنت الاول في المدرسة، والخامس في القطر. وظهرت نتيجة امتحان دار العلوم فكنت من الناجحين، وكان هذا النجاح مفاجأة لي كذلك. فاني لأذكر في هذه اللحظة أستاذنا احمد بدير، وقد كان ممن يمتحنون شفهيا، وكان كثير الدعابة فيما يشبه الغلظة لمن لم يعرفه، وقد جلست أمامه فقال: انت تتقدم للقسم العالي؟. فقلت: نعم ياسيدي. فنظر الي شزراً ثم قال: « دار العلوم حتصغر انت سنك كام؟» فقلت له: ستة عشر عاما ونصف فقال لماذا لم تنتظر حتى تكبر؟ فقلت له: تفوت الفرصة. فقال: إذن فاقرأ باب جمع التكسير. ألست تحفظ الالفية؟ فقلت: نعم. فقال: إقرأ. وكان زميله في الامتحان الاستاذ عبد الفتاح عاشور ولم أكن آلف مثل هذه المداعبات مع من لم أعرف — وكانت سني تلفت الى نظر الزملاء حتى كان بعضهم يقول: امتحان القسم التجهيزي في الجهة المقابلة: فأقول له انني متقدم الى القسم العالي فينظر وينصرف — فتأثرت بدعابة الاستاذ

بدير وكدت أتوقف عن الاجابةلولا أن الاستاذ عاشور تدخل فزجر الاستاذ بدير في دعابة وأخـــذ يستمع لي وأنا أقرأ ثم جاء دور المطالعة والمحفوظات والمناقشة الشفهية فدعا لي الاستاذ بدير بخير وشجعني وانصرفت . وكان امتحان القرآن الكريم أمام الاستاذ احمد بك زناني رحمه الله فكان ظريفاً متلطفاً — ولكني مع هذا لم أكن واثقاً من النجاح فكان ظهور النتيجـــة مفاجأة .

وكانت مفاجأة ثالثة أن مجلس مديرية البحيرة عينني فعلا مدرساً بمدرسة خربتا الاوليه ، ودعيت الى تسـلم عملي عقب الاجـازة الصيفية مبـاشرة . فكان علي بناء على هذا ان أختار بين الوظيفة أو العودة الى طلب العلم بدار العلوم ، ولكني في النهاية فضلت أن استمر في سلك التعلم ، وأن أشد الرحال الى القاهرة ، حيث دار العلوم ، وحيث المقر الرسمي لشيخنا السيد عبد الوهاب الحصافي ، ولم يكن يقلقني الا شيء واحد هو الشعور بطول الغيبة عن المحمودية ، وفيها الصديق الحميم ، والاخ الحبيب احمد افندي السكري ، ولكننا اتفقنا على إنفاذ هذا العزم ، مادام هو الافضل ثم نتزاور بعد ذلك أو نتكاتب والعلم نوع من الجهاد ، علينا أن نضحي في سبيله مهما كانت التضحية عزيزة غالية .

السنة الاولى بدار العلوم

انتهت الاجازة الصيفية ، وقدمت الى القاهرة وسكنت مع بعض الاخوة الاعزاء بالمنزل رقم ١٨ بشارع مراسينه بحي السيدة زينب رضي الله عنها ،وكان أول منزل سكناه !

وغدوت يوم افتتاح الدراسة الى دار العلوم ، وكلي شوق الى العلم ، وقد وجهني الله الى الدرس توجيهاً حميداً ، ولا أنس الحصة الاولى ، ولم نكن قد تسلمنا الكتب والادوات بعد ، وقد وقف استاذنا الشاعر البدوي الشيخ محمد عبد المطلب ، أغدق الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان ، امام السبورة على المنصة

بقامته المديدة يحيي الطلبة الجدد ، ويتمنى لهم النجاح والتوفيق ، ثم كتب على السبورة :

«قال عبيد بن الابرص :

لنا دار ورثنا مجدها الا ... أقدم القدموس عن عم وخال

منزل منه اباؤنا الا ... مورثونا المجد في أولى الليالي

ثم أمسك بطوق جبته الاعلى ، على عادته رحمه الله ، وقرأهما في جرس يحمل معنى الفخار والاعتزاز ، ثم طالبنا بأعرابهما ، فقلت في نفسي « بدأنا بالجد من اول يوم » وأخذت أتساءل : ما هذا القدموس ؟ ولماذا قال ومنه وكان في وسعه ان يقول أسسه ؟ ! وما زلنا ننحت في اعراب البيتين حتى نقلنا إلى الحوار الكلام عن عبيد بن الابرص والحياة العربية وما فيها من خشونة ولين ، وأيام العرب وأوابدها وأدواتها في حربها وسلمها ، وأنواع الرماح والسيوف والسهام الى السهم المريش والذي لا ريش له ، واستشهد الاستاذ بالبيت المعروف :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

وأخذ يرسم على السبورة السهام بأنواعها ، وأنا مأخوذ بهذا النوع من الاستطراد والتوسع في البحث ، أتابعه بشغف وشوق ، وزادني بهذا الاسلوب للعلم حباً ، ولدار العلوم وأساتذتها احتراماً وتقديراً وعجباً .

« طريفة »

وعلى ذكر الاستاذ الشيخ عبد المطلب رحمه الله أذكر أن الاخ العامل الكتبي الطيب ، الذي نزلت عنده لاول مرة ، ذكر لي أن له بأساتذة دار العلوم صلة ومنهم الاستاذ الشيخ عبد المطلب ، والاستاذ الشيخ علام سلامة رحمه الله ،

وان في استطاعته أن يحدثهما في شأني ليتوسطا لي في الكشف أو في الامتحان ولو الشفهي، وأنه سيزور الشيخ عبد المطلب الليلة في منزله ليقدم له بعض الكتب ولا مانع في أن أصحبه اليه ـ وكان رحمه الله يسكن اذ داك في شارع سنجر الخازن بالحلمية. وكانت هذه أول مره أسمع فيها اسم سنجر الخازن وأتساءل من هو سنجر الخازن هذا؟أهو من المماليك أم من الاتراك ؟ـ ولكني لم أجد في نفسي توجها الى هذه الوساطه؛فشكرت للرجل واكتفيت بهذا. ولكن حديثه ذكرني بأستاذنا الشيخ موسى ابو قمر رحمه الله ،وهو قريب ومدرس بـــدار العلوم أيضاً ،فسألته عن منزله فذكره لي ـ وكان اذ ذاك بشارع الخليج المصري ـ وانتهزت فرصة في اليومين التاليين قبل الكشف،وذهبت اليه،ووقفت امام الباب وطرقته مرة ...وفي هذه اللحظة خطر لي خاطر تملك نفسي ودفعني الى الانصراف فوراً دون انتظار الرد من الداخل ـ هذا الخاطر هو انى شعرت بان هذا لجوء لغير الله واعتماد على سواه وركون الى الناس .فصممت على الاستعانة بالله وحده، وعلى أن تكون زيارتي للشيخ رحمه الله بعد الانتهاء من الكشف والامتحان معاً.وقد كان ذلك فعلا، وزرته بعد ذلك ولا مني على عدم النزول عنده ـ وقد كان رحمه الله كريماً جواداً لايكاد منزله يخلو من الأضياف وذوي الحاجات ـ فذكرت له ما حدث فضحك وشجعني على هذ المعنى،وأكده في نفسي ،شكر الله له وأفسح له في جنته ·

مسكن جديد

ولست أنسى حديثنا في البحث عن مسكن جديد .فقد باع آل عاكف، أصحاب المنزل الذى نسكنه،منزلهم إلى ابراهيم بك لمي تاجر الورق والحبر والأدوات الكتابية الذى كان مضطراً إلى اخراج السكان لاستخدام المنزل

بمعرفته فأنذرنا بذلك وطلب إلينا أن نخرج فوراً في ظرف ثلاثة أيام أو أقل وكم كانت حيرتنا شديدة في البحث حتى اهتدينا أخيراً إلى منزل في شارع الحديرة بقلعة الكبش حيث قضينا فيه بقية العام .

حياة عام

كنت سعيداً بالحياة في القاهرة هذا العام فقد ظهر ترتيبي متقدما في الامتحان ومنحتني المدرسة المكافأة المادية المقررة وهي جنيه في الشهر خصصته لشراء الكتب غير المدرسية ؛ ولا زال كثيرٌ من كتب مكتبتي الآن من أثر هذا الجنيه الذي لازمني طول حياتي المدرسية . كما كنت أجد متعة كبرى في « الحضرة » عقب صلاة الجمعة من كل اسبوع في منزل الشيخ الحصافي ، ثم في كثير من ليالي الأسبوع في منزل الخليفة الأول للشيخ الحصافي علي افندي غالب ، (أو سيدنا الأفندي كما نسميه دائماً) قواه الله ، وجزاه عنا خيراً . وكنت أكاتب الأخ احمد أفندي السكري ويكاتبني يومياً تقريبا . وأزور البلد في فترة الاجازات فأقضيها معه ومع الأخوان الحصافية بالمحمودية وفي ذلك بلاغ .

وهكذا كانت حياتي العلمية ، والعملية والروحية مستقرة لا يعكرها شيء والحمد لله .

حادثة أو كارثة

وفي نهاية العام ، في أثناء الامتحان الأخير ، وبعد مضي يومين منه تقريباً ، وقعت لي حادثة كادت تكون كارثة ولكن الله تبارك وتعالى جعلها خيراً وبركة وسبباً لانتقال الأسره كلها من المحمودية إلى القاهرة .

ذلك ان أحد اخواننا الزملاء في الفصل ، والسكان معنا في البيت ، والغريب معنا في الموطن كذلك ، عز عليه أن أتقدم عليه في الامتحان مع أنه أكبر سناً وقد قضى في دور العلم سنين عددا ، ويرى نفسه أحق بالأولية والتقدم ،

فكيف يسمح لهذا الناشيء أن يتقدمه ؟ استولى عليه هـذا الخاطر ففكر في حيلة يعيقني بها عن الامتحان ، فلم يجد إلا أن ينتهز فرصة نومنا جميعاً ، ويصب زجاجة من صبغة « اليود » ، المركزة على وجهي وعنقي وأنا نائم،وقداستيقظت بعدذلك فزعاً ، وتظاهر بالنوم ،ولم أتبينه في الظلام ،ولكني قمت من فوري إلى دورة المياه ، فغسلت وجهي من هـــذ الماء الكاوي وسمعت أذآن الفجر من مسجد صرغتمش بالصليبة فنزلت مسرعاً إلى الصلاة . وعدت فنمت قليلالشدة التعب من المذاكرة واستيقظت في الصباح فرأيت آثار هـذا الاعتداء ، وكان هو قد خرج مبكرا ، فقال أحد الزملاء :إنه رأى معه زجاجة الصبغة فعلا . وبسؤاله اعترف،وذكر العلة السابقة .فقام عليه زملاؤنا في السكن وأوجعوه ضرباً ، وقذفوا بأمتعته في الشارع ، وطردوه من المنزل . وتشدد بعضهم في تبليغ النيابة أوادارة المدرسة ولقد هممت بذلك فعلا ، لولا أنه خطر لي أنني قد نجوت ،وهذه نعمة من الله وفضل يجب أن يقابل بالشكر،وليس الشكر إلا العفو والصفح:«ومن عفا وأصلحَ فأجرُه على الله .» فتركت الامر لله تبارك وتعالى ولم احرك فيه ساكناً .

ولكن الخبر قد وصل الى البلد،وانتهي الامتحان،وسافرنا، وظهرت النتيجة وكنت من المتقدمين والحمد لله ، فكنت الثالث في الفرقة ، ولكن السيدة الوالدة أبت إباء شديداً إلا أحد أمرين :إما أن أنقطع عن العلم وأعود للوظيفة ؛ وإما أن تنتقل هي معي الى القاهرة.

انتقال الى القاهرة

وفي هذا الوقت كان أخي عبد الرحمن قد أتم الدراسة الابتدائية ، ولا بد له من المدرسة الثانوية ، وكان أخي محمد قد أتم الاولية ، ويرى الوالد أن يلحقه بالأزهر ، وكان إخوة آخرون لابد لهم من التعليم وليست هذه المعاهد

متوفرة في المحمودية،وإذنفلا بد من القاهرة وان طال السفر؛وكذلك كان .

حضر الوالد الى القاهرة قبيل إنتهاء الاجازة ليبحث عن المسكن والعمل ، ووفق في ذلك وعاد ، فانتقلنا جميعاً من المحمودية حيث دخل عبد الرحمن مدرسة التجارة، وانتسب محمـد الى الأزهر « معهد القاهرة » ، ودخل بقية الاخوة المدارس المناسبة .

عاطفة

ولم يكن ينغص على اجتماع شمل الأسرة على هذه الصورة إلا عاطفة قوية جياشة ، هي عاطفة الاخوة والمحبة والصحبة في الله بيني وبين الأخ احمد افندي السكري ، فقد كنا نتعزى عن هذه الفرقة بأيام الاجازات وبأن مصيرنا في النهاية الى بلد واحد ؛ أما الآن ونحن نواجه وضعاً جديداً ،قد يكون من شأنه ألا أعود الى المحمودية إلا أن يشاء الله،فذلك أمر له في أنفسنا خطورته يجب أن نطيل التفكير فيه ، وأن نتغلب عليه بكل الوسائل .

كانت لنا اجتماعات وليال وأحاديث وجلسات طوال حول هـذا المعنى: ان احمد تاجر، والتاجر لاوطن له، فلماذا لاينتقل هو الآخر الى القاهرة ؟. ولكن أسرته مايصنع بها؟. هي لاتريد الانتقال ولا تسمح ظروفها بهذا العمل؟. فكرنا طويلا ثم انتهينا إلى ان نتخذ من هـذه السنة تجربة نرى بعدها ما سيكون . وانتقلنا فعلا،وبدأ العام الجديد ؛ وقضى معي احمد افندي بالقاهرة قرابة شهر في أوله،وعاد الى المحمودية ،وظللنا نتكاتب طول هذه الفترة حتى انتهى العام كسابقه وبدأت الاجازة الصيفية .

ركان الساعات

وجاءت الاجازة الصيفية الثانية وكان لزاماً علي أن أقضيها بالمحمودية فلا

بد من إيجاد سبب للاقامة هناك طوال الاجازة . فعرضت على الوالد أن أذهب لأفتح دكاناً لنا هناك أعمل فيه بنفسي ، كساعاتي مستقل ، لأتمرن تمريناً عمليا استقلاليا على الصنعة – وكان الوالد يعلم السبب الحقيقي ولكنه كان كثيراً ما يسلم لي بما أريد ويشعرني دائماً ثقته بتصرفاتي مما عودني به الثقة بنفسي .

ولهذا سمح لي بالسفر وأوصاني خيراً . وسافرت ، وفتحت الدكان ، واشتغلت فعلا بإصلاح الساعات . وكنت أجد سعادتين في هذه الحياة ، سعادة الاعتماد على النفس والكسب من عمل اليد ، وسعادة الاجتماع بالاخ أحمد افندي وقضاء الوقت معه ومع الحصافية وقضاء ليالي هذه الاجازة معهم نذكر الله ، ونتذاكر العلم في المسجد تارة ، وفي المنازل تارة ، وفي الخلوات بظاهر البلد تارة أخرى ، والاستحمام في النيل في النهار أحياناً . وكانت لي وللاخ احمد افندي اجتماعات خاصة كثيراً ما تستغرق الليل بطوله . وكان نزولي في منزله طول مدة الاجازة فكنا لا نفترق في ليل أو نهار .

وبالرغم من اشتغالنا الكامل بالعبادة والذكر واستغراقنا في الطريق باورادها ووظائفها وأحفالها إلا اننا كنا دائماً نعشق العلم والقراءة ، وننفر من كل ما يتنافى مع ظاهر الدين واحكامه ، وننكر على كثير من المنتسبين للطرق خروجهم على تعاليم الاسلام . فكنا مريدين أحراراً في تفكيرنا وان كنا مخلصين كل الاخلاص في تقديرنا للعبادة والذكر وأدب السلوك .

مثل طيب

وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بالموكب ، بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الاول الى الثاني عشر منه من منزل أحد الاخوان وتصادف أننا في أحد الليالي ، كان الدور على أخينا الشيخ

شلبي الرجال،فذهبنا على العادة بعد العشاء فوجـــدنا البيت منيراً نظيفاً مجهزاً ووزع االشربات والقهوة والقرفة على مجرى العادة. وخرجنا بالموكب ونحـــن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام وبعد العودة جلسنا مع الشيخ شلبي قليلا،وأردنا الانصراف فاذاهو يقول في ابتسامه رقيقة لطيفة :« ان شاء الله غداً تزورونني مبكرين لندفن روحية ».ـ وروحية هذه وحيدته وقد رزقها بعد احدى عشرة سنة من زواجه تقريباً وكان بها شغفاً مولعاً ما كان يفارقها حتى في عمله.وقد شبت وترعرعت،وأسماها «روحية »لأنها كانت تحتل من نفسه منزلة الروح ـ.فاستغربنا وسألناه:ومتى توفيت؟.فقال:اليوم قبيل المغرب.فقلنا:ولماذا لم تخبرنا فنخرج من منزل آخر بالموكب؟فقال:وما الذي حدث ،لقدخفف عنا الحزن،وانقلب المأتم فرحاً فهل تريدون نعمة من الله أكبر من هذه النعمة؟. وانقلب الحديث الى درس تصوف يلقيه الشيخ شلبي ، ويعلل وفاة كريمته بغيرة الله على قلبه.فان الله يغار على قلوب عباده الصالحين أن تتعلق بغيرة ، أو تنصرف إلى سواه . واستشهد بإبراهيم عليه السلام : وقد تعلق قلبه باسماعيل فأمره الله أن يذبحه؛ويعقوب عليه السلام :إذ تعلق قلبه بيوسف فأضاعه الله منه عدة سنوات.ولهذا يجب ألا يتعلق قلب العبد بغير الله تبارك وتعالى ، وإلا كان كذابا في دعوى المحبة ؛ وساق قصة الفضيل بن عياض وقد أمسك بيد ابنته الصغرى فقبلها فقالت له:ياأبتاه أتحبني؟ فقال: نعم يابنية .فقالت والله ما كنت أظنك كذابا قبل اليوم . فقال وكيف ذلك ؟ وكم كذبت ؟ فقالت لقد ظننت أنك بحالك هذه مع الله ، لاتحب معه أحداً . فبكى الرجـل وقال :يامولاي!حتى الصغار قد اكتشفوا رياء عبدك الفضيل؟. وهكذا من هذه الأحاديث التي كان الشيخ شلبي يحاول أن يسري بها عنا ويصرف ما لحقنا من ألم المصابه، وخجل لقضاء هذه

الليلة عنده.وانصرفنا وعدنا اليه في الصباح حيث دفنا روحية ولم نسمع صوت نائحة،ولم ترتفع حنجرة بكلمة نابية،ولم نر الا مظاهر الصبر والتسليم لله العلي الكبير .

ولقد توفيت إحدى كريمات استاذنا الشيخ محمدزهران رحمه الله فلم يكن منه إلا أن انتهز من المأتم فرصة للوعظ والتدريس طول لياليه الثلاثة ، وللقدوة الحسنة الصالحة فى محاربة منكرات المآتم والقضاء على مايقوم به الناس فيها من بدع وعادات لاأصل لها ... في هذا الجو الكريم كنا نعيش .

العودة الى القاهرة والجمعيات الاسلامية فيها

وقد عدت إلى القاهرة، ولم تكن الجمعيات الاسلامية قد انتشرت فيها كما هو الحال الآن،فلم يكن هناك الا جمعية«مكارم الاخلاق الاسلامية » برأسها الاستاذ الشيخ محمود محمود،وتقوم بالقاء المحاضرات الاسلامية في مقرها بدار السادات ببركة الفيل اسبوعياً ، وكان المكان يزدحم على سعته بزائريه ، وتتناول المحاضرات كثيراً من الموضوعات النافعة المفيدة ،وكان الشيخ عباس ،قاريء المكارم، يجتذب القلوب بصوته المؤثر ، فكنت أحافظ محافظة دقيقة على حضور اجتماع المكارم واشتركت فيها كعضو مشترك مدة وجودي في القاهرة.

فكرة تكوين دعاة اسلاميين

وقد وجدت في نفسي على أثر ماشاهدت في القاهرة من مظاهر التحلل والبعد عن الاخلاق الاسلامية في كثير من الاماكن التي لاعهد لنا بها في الريف

المصري الآمن ، وعلى أثر ما كان ينشر في بعض الجرائد من أمور تتنافى مع التعاليم الاسلامية ومن جهل بين العامة بأحكام الدين ، أن المساجد وحدها لا تكفي في ايصال التعاليم الاسلامية الى الناس . وقد كان يتطوع بالوعظ في المساجد في هذا التاريخ عدد من أفاضل العلماء كان لهم أثر جميل جداً في النفوس ، منهم الاستاذ عبد العزيز الخولي رحمه الله ، والاستاذ الشيخ علي محفوظ رحمه الله ، والاستاذ الشيخ محمد العدوي مفتش الوعظ والارشاد العام السابق ، ففكرت في أن أدعو الى تكوين فئة من الطلاب الازهريين وطلاب دار العلوم للتدرب على الوعظ والارشاد في المساجد ثم في القهاوي والمجتمعات العامة ، ثم تكون منهم بعد ذلك جماعة تنتشر في القرى والريف والمدن الهامة لنشر الدعوة الاسلامية . وقرنت القول بالعمل ، فدعوت لفيفا من الاصدقاء للمشاركة في هذا المشروع الجليل ، كان منهم الاخ الأستاذ محمد مدكور خريج الازهر وكان لا زال مجاوراً حينذاك ، والاخ الاستاذ الشيخ حامد عسكرية رحمه الله ، والاخ الاستاذ الشيخ احمد عبد الحميد عضو الهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين الآن وغيرهم . . .

كنا نجتمع في مساكن الطلاب في مسجد شيخون بالصليبية ، ونتذاكر جلال هذه المهمة وما تستلزمه من استعداد علمي وعملي . وخصصت جزءاً من كتبي ، كالاحياء للغزالي والأنوار المحمدية للنبهاني ، وتنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، للشيخ الكردي وبعض كتب المناقب والسير ، لتكون مكتبة دورية خاصة بهؤلاء الأخوان يستعيرون أجزاءها ، ويحضرون موضوع الخطب والمحاضرات منها .

الدعوة في القهاوي

وجاء الدور العملي بعد هذا الاستعداد العلمي فعرضت عليهم أن نخرج للوعظ في القهاوي فاستغربوا ذلك وعجبوا منه وقالوا : إن أصحاب القهاوي

لا يسمحون بذلك ويعارضون فيه لأنه يعطل أشغالهم ، وإن جمهور الجالسين على هذه المقاهي قوم منصرفون الى ما هم فيه . وليس أثقل عليهم من الوعظ فكيف نتحدث في الدين والأخلاق لقوم لا يفكرون إلا في هذا اللهو الذي انصرفوا إليه ؟ — وكنت أخالفهم في هذه النظرة وأعتقد أن هذا الجمهور ، أكثر استعداداً لسماع العظات من أي جمهور آخر حتى جمهور المسجد نفسه . لأن هذا شيء طريف وجديد عليه والعبرة بحسن اختيار الموضوع ، فلا نتعرض لما يجرح شعورهم ، وبطريقة العرض فنعرض بأسلوب شائق جذاب ، وبالوقت فلا نطيل عليهم القول .

ولما طال بنا الجدل حول هذا الموضوع قلت لهم : ولم لا تكون التجربة هي الحد الفاصل في الأمر ؟ . فقبلوا ذلك وخرجنا فبدأنا بالقهاوي الواقعة بميدان صلاح الدين . وأول السيدة عائشة ومنها الى القهاوي المنتشرة في أحياء طولون الى أن وصلنا من طريق الجبل الى شارع سلامة ، والسيدة زينب ، وأظنني ألقيت في هذه الليلة أكثر من عشرين خطبة تستغرق الواحدة منها ما بين خمس دقائق الى عشرة .

ولقد كان شعور السامعين عجيبا ، وكانوا ينصتون في اصغاء ويستمعون في شوق ، وكان أصحاب المقاهي ينظرون بغرابة أول القول ، ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك ، وكان هؤلاء يقسمون بعد الخطبة أننا لابد أن نشرب شيئاً أو نطلب طلبات ، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت وبأننا نذرنا هذا الوقت لله فلا نريد أن نضيعه في شيء ، وكان هذا المعنى يؤثر في أنفسهم كثيرا . ولا عجب فان الله لم يرسل نبياً ولا رسولا إلا كان شعاره الأول « قل لا أسألكم عليه أجراً » لما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل في نفوس المدعوين .

لقد نجحت التجربة مائة في المائة ، وعدنا الى مقرنا في شيخون ، ونحن سعداء بهذا النجاح . وعزمنا على استمرار الكفاح في هذه الناحية . وكنا نتعهد الناس بالموعظة العملية على هذه الطريقة في كثير من الأحيان . وقد وجدت

في هذا المعنى بعض العزاء عن الغيبة عن الجمعية الحصافية التي انحلت شكلا في المحمودية،وان بقي أعضاؤها اخوة يعمل بعضهم مع بعض للاسلام وتجمعهم الطريق الحصافية على العبادة والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويثير في أنفسهم الحمية بين الفينة والفينة نشاط الارسالية الانجليزيـــة التي ألقت عصاها واستقر بها النوى في هذا البلد الأمين ، الذي لم يصب من قبل بهـذا البلاء المحيط . وكان أولى بهذه الارساليات أن تقصد إلى بلاد الوثنين لا أن تقيم في ديار المسلمين ، وهم أصدق إيمانا وأصح لله توحيداً ، وأطيب قلوبا وأسلم صدورا ، ولله في خلقه شؤون .

في حجرة الدرس

ولم تكن الدراسة في دار العلوم حينذاك دراسة جامدة بل كان للسن في الطلاب والمدرسين وللمرحلة العلمية التي يجتازونها حكمها، فكثيرا ما كنا نتناول بين حجرات الدراسة كثيرا من الشؤون العامة في السياسة والاجتماع حتى في دقائق المسائل الخاصة بالطلاب والمدرسين .

كانت فورة السياسة غالبة في مصر اذ كان هناك الانقسام بين الوفديين ، واحرار الدستوريين ، وما تلاذلك من حوادث الائتلاف والاختلاف والوساطات بين المختلفين،وما كانت تسفر عنه من نجاح أحيانا وفشل أحياناأخرى . وكانت هذه المعاني كلها موضع أحاديث الطلاب والأساتذة، وتعليقهم ولم يكن الأساتذة يبخلون على الطلاب ببيان آرائهم واضحة .

وكانت هناك كذلك آراء دينية يختلف فيها الطلاب مع الاساتذة وتكون موضع الحديث والنقاش والجدل في حرية وأدب كامل . ولا زلت أذكر كيف كنا نحترم هؤلاء الاساتذة الفضلاء ونوقرهم إلى درجة إننا كنا نتحاشى المرور أمام حجرة اجتماعهم مع أنها كانت في طريقنا إلى الفصول؛ وهذا مع الحرية التامة والمعاملة الطيبة والصلات الروحيـــة القويـــة التي كانت بيننـــا وبينهم .

وكنا نتحرش ببعضهم أحياناً في الدرس ، فتكون نكتة طريفة أو اجابة مسكتة ... أذكر أن أحد الزملاء سأل أحد الأساتذة : هل هو متزوج ؟ فقال له الأستاذ: لا ، فقال ولماذا لم تتزوج ياسيدي ؟ قد كبرت سنك ! فقال حتى يكثر المرتب ويكفي تكاليف الزواج والأسرة حتى تتربى الأولاد تربية صالحة ، فقال الأخ الطالب : ولكن إذا تأخرت عن هذا الوقت لم تضمن إن تعيش لتشرف على تربيتهم والرزق والاجل ياسيدي بيد الله ، فأحرج الأستاذ وقال: هل أنت متزوج ؟ فقال نعم وولدي يجيء معي كل يوم إلى مدرسة البنين الابتدائية، فأدخل مدرستي ويدخل مدرسته ، وانتهى النقاش بضحك الزملاء .

تغيير الزي

وفى السنة الرابعة من دار العلوم،وهي السنة النهائية،اشتدت حركة الرغبة في تغيير الزي،وتهيأت لها نفوس الطلاب جميعاً ،وساعد على ذلك تنفيذ الكثير من كبار المتخرجين في دار العلوم لهذه الخطوة فعلا . ولم يكن ذلك من رأيي ولا من رأي الأقلية من الطلاب.وبدت دار العلوم بضعة شهور يدخلها عدد من الأفندية وعدد من الشيوخ ،وفي كل يوم يزداد المطربشون ويقل عدد المعممين حتى لم يبق إلا طالبان هما الشيخ ابراهيم الورع المدرس بالمعارف الآن وأنا معه.وجاء دور التمرين العملي،وكان ناظر المدرسة حينذاك رجلا فاضلاهو الأستاذ محمدبك السيد رحمه الله، فدعانا نحن الاثنين وتحدث إلينا في أنه يحسن أن نذهب إلى المدارس التي سنتمرن فيها بالزي الجديد حتى لا نظهر أمام التلاميذ بمظهر المنقسمين ، فريق معممون وفريق مطربشون. ورغم أن كلمته الطيبة لم تكن تحمل معنى الالزام إلا أن قوة تأثيره واحترامنا لرأيه جعلنا نعده بذلك وننفذ وعدنا فنرتدي البذلة والطربوش بدلا من الجبة والعمامه وذلك قبل أن نتخرج بقليل .

موجة الإلحاد والإباحية في مصر

وعقب الحرب الماضية، وفي هذه الفترة التي قضيتها بالقاهرة، اشتد تيار موجة التحلل في النفوس وفي الآراء والافــــكار باسم التحرر العقلي، ثم في المسالك والاخلاق والاعمال باسم التحرر الشخصي، فكانت موجــــة إلحاد واباحية قوية جارفة طاغيـــــة، لا يثبت أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف .

لقد قامت تركيا بانقلابها الكـــمالي وأعلن مصطفى كمال باشا الغاء الخلافة وفصل الدولة عن الدين في أمة كانت إلى بضع سنوات في عرف الدنيا جميعا مقر أمير المؤمنين، واندفعت الحكومة التركية في هذا السبيل في كل مظاهر الحياة .

ولقد تحولت الجامعة المصرية من معهد أهلي الى جامعة حكومية تديرها الدولة وتضم عدداً من الكليات النظامية ؛ وكانت للبحث الجامعي والحياة الجامعية حينذاك في رؤوس الكثيرين صورة غريبـــــة مضمونها أن الجامعة لن تكون جامعة علمانية إلا إذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه، واندفعت وراء التفكير المادي المنقول عن الغرب بحذافيره وعرف اساتذتها وطلابها بالتحلل والانطلاق من كل القيود .

ولقد وضعت نواة « الحزب الديمقراطي » الذي مات قبل أن يولد ولم يكن له منهاج إلا أن يدعو إلى الحرية والديموقراطية بهذا المعنى المعروف حينذاك: معنى التحلل والانطلاق .

والشيء في شارع المناخ ما يسمى المجمع الفكري، تشرف عليه هيئة من التيوصوفيين وتلقى فيه خطب ومحاضرات تهاجم الاديان القديمة وتبشر بوحي

جديد ، وكان خطباؤه خليطاً من المسلمين واليهود والمسيحيين وكلهم يتناولون هذه الفكرة الجديدة من وجهات النظر المختلفة .

وظهرت كتب وجرائد ومجلات كل ما فيها ينضح بهذا التفكير الذي لا هدف له إلا إضعاف أثر اي دين ، او القضاء عليه في نفوس الشعب لينعم بالحرية الحقيقة فكريا وعمليا في زعم هؤلاء الكتاب والمؤلفين .

وجهزت « صالونات » في كثير من الدور الكبيرة الخاصة في القاهرة يتطارح فيها زوارها مثل هذه الافكار ويعملون بعد ذلك على نشرها في الشباب وفي مختلف الاوساط .

رد الفعل

كان لهذه الموجة رد فعل قوي في الاوساط الخاصة المعنية بهذه الشؤون كالأزهر وبعض الدوائر الاسلامية ، ولكن جمهرة الشعب حينذاك كانت إما من الشباب المثقف وهو معجب بما يسمع من هذه الالوان ، وإما من العامة الذين انصرفوا عن التفكير في هذه الشؤون لقلة المنبهين والموجهين ، وكنت متألماً لهذا أشد الألم ، فها أنذا أرى أن الامة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين اسلامها الغالي العزيز ، الذي ورثته وحمته ، وألفته وعاشت به واعتز بها أربعة عشر قرنا كاملة ، وبين هذا الغزو الغربي العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاه ، والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية .

وكان ينفس عن نفسي بعض الشيء الافضاء بهذا الشعور الى كثير من الأصدقاء الخلصاء من زملائنا الطلاب بدار العلوم والأزهر والمعاهد الأخرى ، فكان الشيخ حامد عسكرية رحمه الله ، وكان الشيخ حسن عبد الحميد ، وحسن افندي فضلية ، واحمد افندي امين ، والشيخ محمد بشر ، ومحمد سليم عطية ، ثم كمال افندي

اللبان رحمه الله ، وقد كان طالبا بالحقوق حينذاك ، ويوسف افندي اللبان وعبدالفتاح كيرشاه ، وابراهيم افندي مدكور ، وسيد افندي نصارحجازي ، والأخ محمد افندي الشرنوبي ، والاخوان المتقفون من الاخوان الحصافية بالقاهرة ... كان هؤلاء جميعا يتحدثو ن في هـذه الموضوعات ، وفي وجوب القيام بعمل إسلامي مضاد ، و كنا نجدفي ذالك ترويحا عن النفس و تسلية عن هذا الهم !

كما كان ينفس عن نفـي كذلك التردد على المكتبة السلفية ، وكانت اذ ذاك قرب محكمة الاستئناف ، حيث نلتقي الرجل المؤمن المجاهد العامل القوي العالم الفاضل والصحفي الاسلامي القدير :(السيد محب الدين الخطيب) ،ونلتقي بجمهرة من أعلام الفضلاء المعروفين بغيرتهم الاسلامية وحميتهم الدينية ، أمثـال فضيلة الاستاذ الكبير السيد محمد الخضر حسين، والاستاذ محمد أحمد الغمراوي،وأحمد باشا تيمور رحمه الله ،وعبد العزيز باشا محمدرحمة الله ، وكان إذ ذاك مستشارا بمحكمـــة الاستئناف ، ونسمع منهم بعض ما ينفس عن النفس . كما كنا نتردد على دار العلوم ونحضر في بعض مجالس الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله ؛ ونلتقي فيها الكثير من الاعلام والفضلاء كذلك ، أمثال الشيخ عبد العزيز الخولي رحمه الله وفضيلة الاستاذ الشيخ محمد العدوى ، فنتذاكر هذه الشؤون أيضاً ؛ وكانت للسيد رشيد رحمه الله جولات قوية موفقه في رد هذا الكيد عن الاسلام .

عمل ايجابي

ولكن هذا القرار لم يكن يكفي ولا يشفي ،وخصوصاًوقد اشتد التيارفعلا؛ وصرت أرقب هذين المعسكرين فأجدمعسكر الاباحيةوالتحلل في قوة وفتوة ، ومعسكر الاسلامية الفاضلة في تنقص وانكماش ؛ واشتد بي القلق حتى اني لأذكر أنني قضيت نحواً من نصف رمضان هذا العام في حالة ارق شديد

لايجد النوم إلى جفني سبيلا من شدة القلق والتفكير في هذه الحال؛ فاعتزمت أمراً إيجابياً وقلت في نفسي : « لماذا لاأحمل هؤلاء القادة من المسلمين هذه التبعة وأدعوهم في قوة الى ان يتكاتفوا على صد هذا التيار ؟ » فإن استجابوا فذاك وإلا كان لنا شأن آخر » . وصح العزم على هذا وبدأت التنفيذ .

مع فضيلة الشيخ الدجوي

كنت أقرأ للشيخ يوسف الدجوي ـ رحمه الله ـ كثيراً . وكان الرجل سمح الخلق حلو الحديث صافي الروح . وبحكم النشأة الصوفية كانت بيني وبينه رحمه الله صلة روحية وعلمية تحملني على زيارته الفينة بعد الفينة ، بمنزله بقصر الشوق أو بعطفة الدويداري بحي الازهر ، وكنت اعرف أن له صلات بكثير من رجال المعسكر الاسلامي من علماء أو وجهاء ، وأعرف انهم يحبونه ويقدرونه. فعزمت على زيارته ومكاشفته بما في نفسي ، والاستعانة به على تحقيق هذه الفكرة والوصول الى هذه الغاية . وزرته بعد الافطار ؛ وكان حوله لفيف من العلماء وبعض الوجهاء ومن بينهم فاضل لاأزال أذكر أن اسمه « أحمد بك كامل » وإن لم التق به بعد هذه المرة .

تحدثت إلى الشيخ في الأمر فأظهر الألم والأسف وأخذ يعدد مظاهر الداء والآثار السيئة المترتبة على انتشار هذه الظاهرة في الأمة ، وخلص من ذلك إلى ضعف المعسكر الاسلامي أمام هؤلاء المتآمرين عليه ، وكيف ان الأزهر حاول كثيراً ان يصد هذا التيار فلم يستطع ، وتطرق الحديث الى جمعية (نهضة الاسلام) التي ألفها الشيخ ، هو ولفيف من العلماء ، ومع ذلك لم تجد شيئاً . والى كفاح الأزهر ضد المبشرين والملحدين ، والى مؤتمر الأديان في اليابان ، ورسائل الاسلام التي ألفها فضيلته وبعث بها إليه ، وانتهى ذلك كله إلى أنه لافائدة من كل الجهود ، وحسب الانسان ان يعمل لنفسه وأن ينجو بها من هذا البلاء . وأذكر أنه تمثل بهذا البيت ، الذي كان كثيراً ما يتمثل به ،

والذي كتبه لي في بعض بطاقاته في بعض المناسبات :

وما أبالي إذا نفسي تطاوعني. على النجاة بمن قد مات أو هلكا .

وأوصاني أن أعمل بقدر الاستطاعة وأدع النتائج لله «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»

لم يعجبني طبعاً هذ القول ؛ وأخذتني فورة الحماسة ، وتمثل أمامي شبح الاخفاق المرعب إذا كان هذا الجواب سيكون جواب كل من التقي من هؤلاء القادة. فقلت له في قوة : « إنني أخالفك ياسيدي، كل المخالفة، في هذا الذي تقول . وأعتقد أن الأمر لايعدو أن يكون ضعفاً فقط ، وقعوداً عن العمل، وهروباً من التبعات . من أي شيء تخافون؟ من الحكومة او الأزهر؟... يكفيكم معاشكم واقعدوا في بيوتكم واعملوا للاسلام ، فالشعب معكم في الحقيقة لو واجهتموه، لانه شعب مسلم، وقد عرفته في القهاوي ، وفي المساجد ، وفي الشوارع ، فرأيته يفيض إيماناً ؛ ولكنه قوة مهملة من هؤلاء الملحدين والاباحيين ، وجرائدهم ومجلاتهم لاقيام لها إلا في غفلتكم ولو تنبهتم لدخلوا جحورهم. ياأستاذ ! إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا والرغيف الذي تأكلون ، فانه إذا ضاع الاسلام في هذه الامة ضاع الازهر ، وضاع العلماء ، فلا تجدون ماتأكلون ، ولا ماتنفقون . فدافعوا عن كيانكم إن لم تدافعوا عن كيان الاسلام. واعملوا للدنيا إن لم تريدوا أن تعملوا للآخرة، وإلا فقد ضاعت دنياكم وآخرتكم على السواء » ..

وكنت أتكلم في حماسة وتأثر وشدة ، من قلب محترق مكلوم . فانبرى بعض العلماء الجالسين يرد علي في قوة كذلك ، ويتهمني بأنني أسأت إلى الشيخ وخاطبته بما لا يليق ، وأسأت إلى العلماء والازهر ، وأسأت بذلك إلى الاسلام القوي العزيز ، والاسلام لايضعف أبداً والله تكفل بنصره .

وقبل أن أرد عليه انبرى أحمد بك كامل هـــذا وقال: « لا ياأستاذ ، من فضلك هذا الشاب عنده حق ، ويجب أن تنهضوا ؛ وإلى متى هذا القعود ، وهذا الشاب لا يريد منكم إلا الاجتماع لنصرة الاسلام . وان كنتم تريدون مكاناً

تجتمعون فيه فهذه داري تحت تصرفكم افعلوا بها ما تريدون . وإن كنتم تريدون مالاً فلن نعدم المحسنين من المسلمين ولكن أنتم القادة فسيروا ونحن وراءكم . أما هذه الحجج فلم تعد تنفع بشيء» . هنا سألت جاري عن هـــذا الرجل المؤمن : من هو ؟ فذكر لى اسمه . ومازال عالقاً بذهني ولم أره بعد - وانقسم المجلس الى فريقين فريق يؤيد رأي الاستاذ العالم وفريق يؤيد رأي احمد بك كامل ، والشيخ رحمه الله ساكت . ثم بدا له أن ينهي هذا الامر فقال : على كل حال نسأل الله أن يوفقنا للعمل بما يرضيه . ولا شك أن المقاصد كلها متجهة الى العمل . والامور بيد الله . وأظننا الآن على موعد مع الشيخ محمد سعد فهيا لنزوره .

وانتقلنا جميعاً الى منزل الشيخ محمد سعد ، وهو قريب من منزل الدجوي رحمه الله ، وتحريت أن يكون مجلسي بجوار الشيخ الدجوي مباشرة لأستطيع الحديث فيما أريد - ودعا الشيخ محمد سعد بحلويات رمضان فقدمت وتقدم الشيخ ليأكل فدنوت منه . فلما شعر بي بجواره سأل : من هـــذا ؟ فقلت : فلان . فقال : أنت جئت معنا أيضاً ؟ فقلت : نعم ياسيدي وسوف لا أفارقكم إلا إذا انتهينا إلى أمر . فأخذ بيده مجموعة من النقل وناولنيها وقال : خذ وإن شاء الله نفكر . فقلت : ياسبحان الله ياسيدي ! إن الامر لا يحتمل تفكيراً ، ولكن يتطلب عملا ، ولو كانت رغبتي في هـــذا النقل وأمثاله لاستطعت أن أشتري بقرش وأظل في منزلي ولا أتكلف مشقة زيارتكم . ياسيدي إن الاسلام يحارب هذه الحرب العنيفة القاسية ، ورجاله وحماته وأئمة المسلمين يقضون الاوقات غارقين في هذا النعيم ؟ أتظنون أن الله لا يحاسبكم على هذا الذي تصنعون ؟ إن كنتم تعلمون للاسلام أئمة غيركم وحملة غيركم فدلوني عليهم لأذهب اليهم لعلي أجد عندهم ما ليس عندكم ! ! وسادت لحظة صمت عجيبة ؛ وفاضت عينا الشيخ

رحمه الله بدمع غزير بلل لحيته ، وبكى بعض من حضر . وقطع الشيخ رحمه الله هذا الصمت بأن قال في حزن عميق وفي تأثير بالغ : وماذا أصنع يافلان ؟ فقلت : ياسيدي الأمر أيسر ،ولايكلفُ اللهُ نفساً إلا وسعها . لا أريد إلا أن تحصر أسماء من نتوسم فيهم الغيرة على الدين ، من ذوي العلم والوجاهة والمنزلة، ليفكروا فيما يجب أن يعملوه : يصدرون ولو مجلة أسبوعية أمام جرائد الالحاد والاباحية ، ويكتبون ردوداً وكتباً على هذة الكتب . ويؤلفون جمعيات يأوي إليها الشباب ، وينشطون حركة الوعظ والارشاد ... وهكذا من هذه الاعمال. فقال : جميل . وأمر برفع (الصينية) بما عليها ، وإحضار ورقة وقلم . وقال : اكتب . وأخذنا نتذاكر الاسماء ؛ فكتبنا فريقاً كبيراً من العلماء الأجلاء أذكر منهم : الشيخ رحمه الله ، ، وفضيلة الاستاذ الشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ عبد العزيز جاويش ،"والشيخ عبد الوهاب النجار ، والشيـــخ محمد الخضري ، والشيـــخ محمد أحمد ابراهيم ، والشيخ عبـــد العزيز الخولي رحمهم الله .

وجاء اسم السيد محمد رشيد رضا ،رحمه الله .فقال الشيخ : اكتبوه اكتبوه فان الامر ليس أمراً فرعياً نختلف فيه ؛ ولكنه أمر إسلام وكفر والشيـخ رشيد خير من يدافع بقلمه وعلمه ومجلته . وكانت هذه شهادة طيبة من الشيخ للسيد رشيد ، رحمهما الله ، مع ما كان بينهما من خـلاف في الرأي حول بعض الشؤون . وكان من الوجهاء : أحمد باشا تيمور ، ونسيم باشا ، وأبو بكر يحيى باشا ، ومتولي بك غنيم ، وعبد العزيز بك محمد ، وهو عبد العزيز باشا محمد الآن ، وعبد الحميد بك سعيد رحمهم الله جميعاً وكثيرون غير هؤلاء .

ثم قال الشيخ : وإذن فعليك أن تمر على من تعرف ، وأمر على من اعرف، ونلتقي بعد اسبوع إن شاء الله .

التقينا مرات ، وتكونت نواة طيبة من هؤلاء الفضلاء وواصلت اجتماعها بعد عيد الفطر ، وأعقب ذلك أن ظهرت مجلة « الفتح » الاسلامية القوية برأس تحريرهـا الشيخ عبـد الباقي سرور نعيم رحمه الله ومديرها السيد محب الدين الخطيب ، ثم آل تحريرها وإدارتها اليه ، فنهض بها خير نهوض ، وكانت مشعل الهداية والنور لهذا الجيل من شباب الاسلام المثقف الغيور .

وظلت هذه النخبة المباركة من الفضلاء تعمل حتى بعـد أن فارقتُ دار العلوم ، وظل يحركها نفر من هذا الشباب المخلص حتى كانت هـذه الحركات « جمعية الشبان المسلمين » فيما بعد .

موضوع انشاء

كان استاذنا ، الشيخ احمد يوسف نجاتي جزاه الله خيراً ، مغرماً بالموضوعات الدسمة بالانشاء ، وله معنا نكات وتعليقات ظريفة طريفة في هذه المعاني . ومن كلماته المأثورة ، حين كان يعلن تصحيح هذه المطولات ، أن يقول ، والكراسات على يده ينوء بحملها كما ناء طول ليله بتصحيحها ، : « خذوا يامشايخ ! وزعوا ما تزعمونه انشاء . عليكم بالقصد ياقوم فالبلاغة الايجاز . والله إني لاأشبر الانشاء ولا أذرعه . » ونضحك ونوزع الكراسات .

ومن الموضوعات التي أتحفنا بها بمناسبة آخر العام الدراسي ، وكان بالنسبة لي ولفرقتي ، العام النهائي سنة ١٩٢٧ الميلادية ، هذا الموضوع : « إشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقهـا . » .

وقد أجبت عنه بهذا الموضوع : « أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها في إسعاد الناس وإرشادهم ، وتستمد سرورهـا من إدخال السرور عليهم ، وذود المكروه عنهم ، وتعد التضحية في سبيل الاصلاح العام ربحاً وغنيمة ، والجهاد في الحق والهداية — على توعر طريقهما ، وما فيه من

مصاعب ومتاعب ـ راحةً ولذةً ، وتنفذ الى أعماق القلوب فتشعر بأدوائها ، وتتغلغل في مظاهر المجتمع ، فتتعرف ما يعكر على الناس صفاء عيشهم ومسرة حياتهم ، وما يزيد في هذا الصفاء ، ويضاعف تلك المسرة . لايحدوها الى ذلك إلا شعور بالرحمة لبني الانسان ، وعطف عليهم ، ورغبة شريفة في خيرهم . فتحاول أن تبرىء هذه القلوب المريضة ، وتشرح تلك الصدور الحرجة ،وتسر هاته النفوس المنقبضة لاتحسب ساعة أسعد من تلك التي تنقذفيها مخلوقا من هوة الشقاء الابدي أوالمادي ، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة . »

« واعتقد أن العمل الذي لايعدو نفعه صاحبه ، ولاتتجاوز فائدته عامله ، قاصر ضئيل ، وخير الأعمال وأجلها ذلك الذي يتمتع بنتائجه العامل وغيره ، من أسرته وأمته وبني جنسه ، وبقدر شمول هذا النفع ، يكون جلاله وخطره ، وعلى هذه العقيدة سلكت سبيل المعلمين ، لأني أراهم نوراً ساطعا يستنير به الجم الكثير ويجري في هـذا الجم الغفير وإن كان كنور الشمعة التي تضيء للناس باحتراقها »

وأعتقد أن أجل غاية يجب أن يرمي الانسان اليها ،وأعظم ربح يربحه أن يحوز رضا الله عنه ، فيدخله حظيرة قدسه ، ويخلع عليه جلابيب أنسه ، ويزحزحه عن جحيم عذابه ، وعذاب غضبه ، والذي يقصد إلى هذه الغاية يعترضه مفرق طريقين ، لكل خواصه ومميزاته ، يسلك أيها شاء :

(أولها) — طريق التصوف الصادق ، الذى يتلخص في الاخلاص والعمل ، وصرف القلب عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم .وهوأقرب وأسلم .

(والثاني) — طريق التعليم والارشاد ، الذي يجامع الأول في الاخلاص والعمل . ويفارقه في الاختلاط بالناس ، ودرس أحوالهم ، وغشيان مجامعهم ووصف العلاج الناجع لعللهم . وهذاأشرف عند الله وأعظم ندب اليه القرآن العظيم ، ونادى بفضله الرسول الكريم . وقدرجح الثاني ؛ بعد أن نهجت الاول

لتمدد نفعه ، وعظيم فضله ، ولأنه أوجب الطريقين على التعليم ، وأجملهما عن فقه شيئاً (ليُنذِرُوا قومَهم إذا رَجَعوا إليهم لعلّهم يحذَرُون)

وأعتقد أن قومي بحكم الأدوار السياسية التي اجتازوها ، والمؤثرات الاجتماعية التي مرت بهم ، وبتأثير المدنية الغربية ، والشبه الأوربية ،والفلسفة المادية ، والتقليدالفرنجي ، بعدوا عن مقاصد دينهم ، ومرامي كتابهم ، ونسوا مجد آبائهم ، وآثار أسلافهم ، والتبس عليهم هذا الدين الصحيح بما نسب إليه ظلما وجهلا ، وسُترت عنهم حقيقته الناصعة البيضاء ، وتعاليمهالحقيقيةالسمحة، بحجب من الأوهام تحسر دونها البصر ، وتقف أمامها الفكر ، فوقع العوام في ظلمة الجهالة ، وتاه الشبان والمتعلمون في بيداء حيرة وشك ، أورثا العقيدة فساداً وبدلا الايمان إلحاداً . . !

« وأعتقد كذلك أن النفس الانسانية محبة بطبعها ، وانه لابد من جهة تصرف إليها عاطفة حبها ، فلم أر أحداً أولى بعاطفة حبي من صديق امتزجت روحه بروحي ، فأوليته محبتي ، وآثرته بصداقتي »

« كل ذلك أعتقده عقيدة تأصلت في نفسي جذوتها ؛ وطالت فروعها ، واخضرتأوراقها ، وما بقي إلا أن تثمر ، فكان أعظم آمالي بعد إتمام حياتي الدراسية أملان :

(خاص) — وهو إسعاد أسرتي وقرابتي ، والوفاء لذلك الصديق المحبوب ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ، والى أكبر حد تسمح به حالتي ، ويقدرني الله عليه .

(وعام) — وهو أن أكون مرشداً معلماً ، إذا قضيت في تعليم الابناء سحابة النهار ، ومعظم العام قضيت ليلي في تعليم الآباء هدف دينهم ، ومنابع سعادتهم ، ومسرات حياتهم ، تارة بالخطابة والمحاورة ، وأخرى بالتأليف

والكتابة ، وثالثة بالتجول والسياحة .

وقد أعددت لتحقيق الاول معرفة بالجميل ، وتقديراً للاحسان ، « وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان ؟ » ولتحقيق الثاني من الوسائل الخلقيـــة : « الثبات والتضحية » وهما ألزم للمصلح من ظله ، وسر نجاحه كله ، وما تخلق بهما مصلح فأخفق إخفاقاً يزري به أو يشينه ، ومن الوسائل العملية : درساً طويلا ، سأحاول أن تشهد لي به الاوراق الرسمية ، وتعرفاً بالذين يعتنقون هـذا المبدأ ، ويعطفون على أهله ، وجسما تعود الخشونة على ضآلته ، وألف المشقة على نحافته ، ونفساً بعتها لله صفقة رابحة ، وتجارة بمشيئته منجية ، راجياً منه قبولها ، سائله اتمامها ؛ والكل بها عرفاناً بالواجب وعونا من الله سبحانه ، أقرأه في قوله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« ذلك عهد بيني وبين ربي ، أسجله على نفسي ، وأشهد عليه أستاذي ، في وحدة لا يؤثر فيها إلا الضمير ، وليل لا يطلع عليه إلا اللطيف الخبير ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما » .

ولقد أعمل الاستاذ حسن يوسف نجاتي قلمه في هـــذا الموضوع ببعض الاصلاحات وأذكر أنه أعطاني فيه درجـــة لا بأس بها وهي سبعة ونصف من عشرة .

والصديق الذي أشرت اليه في هذا الموضوع هو الاستاذ احمد السكري الذي كان يبادلني هذا الشعور الى درجة أنه صفى دكانـــه وتجارته والتحق بالوظائف الحكومية بمجلس مديرية البحيرة حتى يتيسر له بعد ذلك أن ينتقل الى وزاره المعارف إذا وظفت فيها بعد التخرج أو تيسر لي أن أكون بالمجلس فنجتمع على أية حال وقد حقق الله هذه الآمال بعد حين فوظفت بوزارة المعارف وانتقل هو اليها وجمعتنا القاهرة بعد طول انتظار .

ذكريات دار العلوم

ولقد انصرفت بعد ذلك الى الاستعداد لامتحان الدبلوم،اذ كانت هذه هي السنةالنهائية ؛وكنت كلما تذكرت انني سأفارق هذا المعهد المبارك أجد اليه حنينا غريبا والى هؤلاء الاخوة في حجرة الدراسة شوقا شديدا .ولست انسى بعض الوقفات بين مسجد المنيرة والدار أو في زاوية حجرة الدراسة أرمق الدار ومن فيها بعاطفة قوية من الشوق والحنين وصدق رسول الله « وأحبب من شئت فانك مفارقه » .

ولست انسى هذه الدعابات اللطيفة في حجرات الدراسة بيني وبين الاستاذ بدير بك رحمه الله وإن له لموقفا لا ينسى معنا إذ أسندت اليه ادارة المدرسة، ونحن في السنة الثالثـــة ،تدريس الأدب العربي والمحفوظات والانشاء فدخل علينا كئيباً يقول: أو ما علمتم أن الله نكبكم نكبة لامثيل لها؟فقلنا : وما ذاك ؟ وما ذاك؟فقال : ان بديراً أُسند اليه تدريس آداب اللغة للسنة الثالثة وهـذا العصر العباسي بالذات لاأعلم فيه شيئاً .أفلا أدلـكم على ابن بجدتهاوفارس حلبتها؟ ذلـكم الأستاذ النجاتي فعليكم به! واطلبوا من إدارة المدرسة اقصائي وانتدابه وثقوا أنني أدلـكم على الخير ،والحق أحق أن يتبع.ـفأخذنانجامله بعبارات الطلاب مع أستاذهم فكان جوابه: لاتخدعوني عن نفسي فاني أدرى بها منكم وأعرف بمصلحتكم وما أريد الا الخير. وقد كان . فنزلنا الى الناظر واقترحنا عليه هذا الاقتراح فقبل وأفدنا كثيراً من الأستاذ النجاتي وشكرنا كل الشكر للأستاذ بدير هذا الموقف النبيل والخلق الفاضل الجميل رحمه الله .

ولست أنسى في القاهرة منزل الأستاذ فريد بك وجدي وقـد كنت من قراء مجلة الحياة وكتبه الكثيرة عن الاسلام ومدنيته ،وعشاق دائرة المعارف ، فما ان أقمت بالقاهرة حتى قصدت الى داره ، وكانت حينذاك بالخليج المصري ،

وكان له بالوالد صداقة قريبة ، وكانت داره مجتمع الفضلاء من الناس يتدارسون علوماً شتى من بعد العصر تقريبا ، ثم يخرجون للنزهة وكنت كثيراً ما أغشى هذه الدار رغبة في الاستفادة .

ولا أزال أذكر هذا الخلاف الذي قام بيني وبين الأستاذ فريد بك وانضم اليه فيه صديقه احمد بك أبو ستيت حول شخصية الأرواح إذ كان فريد بك يرى أن الأرواح التي تستحضر هي أرواح الموتى أنفسهم وأرى غير ذلك ، وتشعب بنا البحث في هذه الناحية ، وانتهينا وكل عند وجهة نظره ، وقد أفدت كثيراً من هذه المجالس حينذاك .

وهكذا كانت حياتي في القاهرة خليطا عجيباً من الحضرة في منزل الشيخ أو منزل علي أفندي غالب ، الى (المكتبة السلفية) حيث السيد محب الدين ، الى دار المنار والسيد رشيد ، الى منزل الشيخ الدجوي ، ثم منزل فريد بك وجدي ، ودار الكتب أحيانا ، ومسجد شيخون أحيانا أخرى .

الدبلوم

وجاء وقت الامتحان ، وظهرت نتيجته ، وحصلت على الدبلوم في يونيه سنة ١٩٢٧ . ولا أنسى الامتحان الشفهي وقد تقدمت فيه الى اللجنة — وكانت مؤلفة من الاستاذ أبو الفتح الفقي رحمه الله ، والأستاذ نجاتي — بمجموعة من المحفوظات بلغت ثمانية عشر الف بيت ومثلها من المنثور ، ومنها معلقة طرفه ؛ فلم أسأل إلا في بيت من المعلقة ، وأربعة أبيات ، من قصيدة شوقي في نابليون ، ومناقشة حول عمر الخيام ، وقضي الامر ولم آسف على هذا المجهود ، إذ كنت أبذله من أول يوم للعلم لا للامتحان .

بين البعثة والوظيفة

ولقد وجدت عند بعض الاخوان الكرام فكرة التقدم بطلب الترشيح

للبعثة الى الخارج باعتبار أن ذلك من حق الأول في الدبلوم دائما . ولكني كنت متردداً في ذلك بدافع العاملين السابقين : عامل حب الاستزادة من العلم ولو من أوربا أو الصين ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، وعامل العزوف عن هذه المظاهر والرغبة في سرعة العمل لتحقيق الفكرة التي ملكت عليّ نفسي وهي فكرة الدعوة الى الرجوع إلى تعاليم الأسلام ، والتنفير من هذا التقليد الغربي الأعمى ، ومن مفاسد قشور المدنية الغربية . وأراحني من هذا التردد أن دار العلوم لم ترشح لهذا العام أحداً فلم يبق إلا الوظيفة ، وكنت أظن أنها لا تعدو أن تكون في مدارس القاهرة ، ولكن كثرة المتخرجين في هذا العام وقلة عدد الذين طلبتهم وزاره المعارف — فهي لم تطلب أكثر من ثمانية وتركت الباقين لمجالس المديريات — لم تجعل لأحد في القاهرة نصيبا وصدرت الأوامر باثنين فقط ، هما الأول والثاني ، فكان نصيبي الاسماعيلية وكان نصيب الاستاذ ابراهيم مدكور حينذاك — والدكتورابراهيم مدكور الآن — الاسكندرية ثم عصفت به السياسة الى أدفو ، فاستقال وسافر إلى أوربا ليتمم دراسته على نفقته ، وألحق بعد ذلك بالبعثة الحكومية . وكان نصيب إخواننا الستة الوجه القبلي .

فوجئت بهذا التعيين ولم أكن أدري أين الاسماعيلية بالضبط وذهبت إلى ديوان المعارف معترضاً ، فلقيني أستاذنا عبد الحميد بك حسن وبدعابته اللطيفة وروحه المرح استطاع أن يهدىء من غضبي ، واستعان بفضيلة أستاذنا الشيخ عبد الحميد الخولي رحمه الله ، وكان يزوره حين ذاك ، ودخل علينا الأستاذ علي حسب الله ، ابن الاسماعيلية البار ، فاستشهدا به على أنها من خير بلاد الله ، وأنني سأجد فيها الخير والراحة ، فهي بلد الهدوء وجمال الطبيعة والانتاج الوفير. وعدت فاستشرت الوالد ، فقال على بركة الله ، والخير ما يختاره . فانشرح صدري بذلك ، وأخذت أعد العدة لهذا السفر الذي ظهرت حكمة الله فيه جلية واضحة

فيما بعد ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وسافرت على بركة الله وأنا مشغول البال بالأسلوب الذي أسلكه للدعوة ، معتقداً أنني صرت أحمل هذه الأمانة بالاسماعيلية ، والأخ أحمد افندي السكري يحملها بالمحمودية ، وتركنا الأخوين الفاضلين الشيخ احمد عسكرية رحمه الله والشيخ أحمد عبد الحميد بالقاهرة حتى عين أولهما واعظاً بالزقازيق بعد العالمية ، وحمل الدعوة بها ، واختار الثاني – بعد العالمية كذلك وبعض الوقت بالتخصيص – الاشتغال بالأعمال الزراعية الحرة بكفر الدوار ، وحمل الدعوة بها ، وكنا كما قال القائل :

بالشام أهلي ، وبغداد الهوى ، وأنا بالرقمتين ، وبالفسطاط جيراني

وانصرف كل يعمل بأسلوبه الذي وفقه الله إليه . وبعد عام من هذا السفر تقريبا ، وفي هدوء الاسماعيلية الجميل ، ومن أبنائها المباركين البررة تكونت أول نواة لتشكيلات الاخوان المسلمين وشعبهم .

في الطريق الى الاسماعيلية

في يوم الاثنين الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٧ – ويؤسفني ألا أذكر التاريخ الهجري لهذا اليوم – اجتمع الأصدقاء ليودعوا صديقهم المسافر إلى الاسماعيلية ، ليتسلم عمله الجديد الذي أسند إليه ، وهو التدريس بمدرسة الاسماعيلية الابتدائية الأميرية .

ولم يكن هذا الصديق يعرف عن الاسماعيلية شيئاً كثيراً من قبل ، إلا أنها بلد ناء بعيد في شرق الدلتا الأقصى ، يفصله عن القاهرة فضاء فسيح من رمال الصحراء الشرقية ، وتقع على بحيرة التمساح المتصلة بقناة السويس ، وأخذ الصديق يستقبل أصدقاءه ليودعهم ويودعوه ، وأخذ الأصدقاء يتجاذبون أطراف الحديث ، وكان فيهم محمد أفندي الشرنوبي ، وهو رجل ذو تقوى وصلاح ، فكان مما قال : « إن الرجل الصالح يترك أثراً صالحاً في كل مكان ينزل فيه ،

ونحن نأمل أن يترك صديقنا أثراً صالحاً في هذه البلد الجديد عليه ، وأخـذت هــــذه الكلمات مكانها من نفس الصديق المسافر ، وانفض الجمع ، واستقل المسافر قطار الضحى ، ليصل إلى الاسماعيلية ظهراً حيثُ يواجه لأول مرة حياته العملية ، وجهاً لوجه .

وسار القطار والتقى المسافر بزملاء له ، عينوا حديثاً في نفس المدرسةالتي عين فيها ، وكان منهم على ما يذكر محمد بهي الدين سند أفندي ، وأحمد حافظ افنديوعبد المجيد عزت افندي ، ومحمود عبد النبي افندي .

التقى المسافر بزميل مدرس بمدرسة السويس الابتدائية ، ينتمي الى الطريقـة الحـامدية الشاذلية ، ويفضي اليـه المسافر بآماله في الاصلاح الاسلامي والدعوه الى الاسلام ، ثم يكتب عنه في مذكراته هذه العبارة : «هذه الفرصة القصيرة لا تكفي للحكم على نفسية الرجل وروحه وإن بدا لي أنه إنسان يعيش ليحفظ حياته بعمله ... يسعد بعقيدته في ربه، ودينهوشيخه، ويسر بما يرى حوله من مظاهر احترام الاخوان له » . وإذن فقد كان هـذا المسافر لا يفكر في أن يعيش ليحفظ حياته بعمله فقط ، وإذن فقـــد كانت عقيدة المسافر لا ترضى أن تكون قاصرة عليه وحده ، وإذن فقد كان هم هذا المسافر شيئاً آخر غير ما يرى من مظاهر احترام الاخوان له .

وصل القطار إلى محطة الاسماعيلية وتفرق المسافرون كل إلى وجهـــة ، وأشرف صاحبنا على هذا البلد الجميل ، الذي كان يبدو جماله كأروع مايكون إذا نظر اليه المسافر من فوق قنطرة سكة الحديد ، واستهوت هذه المناظر قلب القادم الجديد ، وأخذت بلبه ، فوقف هنيهة ، وسبح لحظة في عالم من الخيال والمناجاة ، يحاول أن يقرأ في لوح الغيب ما كتب لهَ في هذا البلد الطيب،ويسأل الله تبارك وتعالى في حرارة وصفاء مناجاة ، أن يقدر له ما فيه الخير ، وأن

يجنبه ما فيه الشرور والآثام ، فانه يحس من اعماق قلبه ، أنه لا بد له في هذا البلد ، من شأن غير شأن هؤلاء الغادين الرائحين من أهله وزائريه .

في الفندق

ويصل المسافر إلى الفندق فيودع فيه حقيبته ، وليس معه غيرها ، ويزور المدرسة التي سيعمل فيها ، ويلقى الناظر والمدرسين ، ويتناول الجميع أطراف الحديث ، ويتعرف هذا الضيف إلى صديق له قديم ، هوالاستاذإبراهيم البنهاوي افندي المدرس القديم بالمدرسة ، ويرغب أن يرافقه في سكنه،فاذا بهذاالصديق يؤثر أن يسكن في « بنسيون » ولا يرى صاحبنا الضيف بأساً في موافقته على ما يرى ، ويحتل الصديقان غرفة واحدة في نزل السيدة « أم جيمي»الانجليزية ثم في نزل السيدة « مدام بيينا الايطالية » .

بين المسجد والمدرسة

ويقضي هذا المدرس الجديد وقته بين المسجد والمدرسة والمنزل ،لا يحاول أن يختلط بأحد ولا أن يتعرف الى غير بيئته الخاصـــة من زملائه في وقت العمل . أما وقت فراغه فهو مكب فيه على رياضة،أودراسةلهذا الوطن الجديد، من حيث أهله ومناظره وخصائصه ، أو مطالعة أو تلاوة ، لا يزيد على ذلك شيئاً مدى أربعين يوماً كاملة، ولم تزايله لحظةمن اللحظات كلمة الصديق المودع :

« إن الرجل الصالح يترك أثراً صالحاً في كل مكان ينزل فيه ، وإنا لنرجو أن يترك صديقنا أثراً صالحاً في هذا البلد الجديدعليه » .

ظرف ديني

وفي المسجد استطاع هذا النزيل الجديد ، أن يعرف كثيراً من أبناء

الاسماعيلية الدينية ، وظروفها الاجتماعية وقد عرف فيما عرف ، ان هذا البلد الذي تغلب عليه النزعة الاوربية إذ تحيط به المعسكرات البريطانية من غربيه وتكتنفه مستعمرة إدارة شركة قناة السويس من شرقية ، وهو محصور بين ذلك ، ومعظم أهله يعملون في هاتين الناحيتين ، ويتصلون بالحياة الاوربية من قريب ، وتطالعهم وجوه الحياة الاوربية في كل مكان . . . هذا البلد ، مع هذا كله ، فيه شعور إسلامي قوي ، والتفاف حول العلماء وتقدير لما يقولون .

وقد عرف هذا النزيل فيما عرف أن مدرساً إسلامياً سبقه في هذا البلد وطلع على أهله بنظرات ، في الفكرة الاسلامية ، بدت غريبة أمام معظمهم ، ونشط لمقاومتها بعض علمائهم ، فنتج عن ذلك إنقسام بين الناس وتحيز لآراء وأفكار لاتجتمع عليها القلوب ، ولا تنبني معها الوحدة المنشودة التي لاتتحقق بدونها غاية .

الى القهاوي مرة ثانية

فأخذ يفكر فيما يصنع ، وكيف يواجه هذا الانقسام ، وهو يرى أن كل متكلم في الاسلام ، يواجهه كل فريق بفكرته ، ويريد أن يضمه الى جانبه ، أو أن يعلم على الاقل ، أهو من حزبه أو من أعاديه ، وهو يريد أن يخاطب الجميع ، وأن يتصل بالجميع ، وأن يلم شتات الجميع ؟ !

فكر طويلا في ذلك ، ثم قرر أن يعتزل هذه الفرق كلها ، وأن يبتعد ما استطاع عن الحديث إلى الناس في المساجد فالمسجد وجمهور المسجد هم الذين ما زالوا يذكرون موضوعات الخلاف ، ويثيرونها عند كل مناسبة ، وإذن فليترك هذا النزيل المسجد وأهله ، وليفكر في سبيل أخرى يتصل بها بالناس ، ولم لا يتحدث إلى جمهور « القهوة » في « القهوة » ؟ ؟ .

ساورته هذه الفكرة حينا ، ثم اختمرت في رأسه ، وبدأ ينفذها فعلا ، واختار لذلك ثلاث (مقاه ٍ) كبيرة ، تجمع ألوفاً من الناس . ورتب في كل منها درسين في الاسبوع ؛ وأخذ يزاول التدريس بانتظام في هذه الاماكن . وقد بدا هذا اللون من ألوان الوعظ والتدريس الديني غريباً في نظر الناس أولا ، ثم ما لبثوا أن ألفوه وأقبلو عليه .

كان المدرس دقيقاً في أسلوبه الفريد الجديد ، فهو يتحري الموضوع الذي يتحدث فيه جيداً بحيث لا يتعدى أن يكون وعظاً عاماً : تذكيراً بالله واليوم الآخر ، وترغيباً وترهيباً فلا يعرض لتجريح أو تعريض ، ولا يتناول المنكرات والآثام التي يعكف عليها هؤلاء الجالسون بلوم أو تعنيف ، ولكنه يقنع بأن يدع شيئاً من التأثير في هذه النفوس وكفى . وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلا جذاباً مشوقا ، خليطاً بين العاميـــة أحياناً ، ويمزجه بالمحسات والأمثال ، والحكايات ويحاول أن يجعله خطابياً مؤثراً في كثير من الاحيان ، وهكذا يتحايل دائماً على جذب هذه النفوس ، باعثاً الرغبة والشوق الى ما يقول ، وهو بعد هذا لا يطيل حتى لا ُيمل ، ولكنه لا يزيد في الدرس على عشر دقائق ، فاذا أطال فربع ساعة ، مع الحرص التام على أن يوفي في هذا الوقت معنى خاصاً ، يقصد إليه ، ويتركه وافياً واضحاً في نفوس السامعين ، وهو حين يعرض فيما يعرض لآية أو حديث يتخير تخيراً مناسباً ، ثم يقرأ قراءة خاشعة ، ثم يتجنب التفاسير الاصطلاحية ، والتعليقات الفنية ، ويكتفي بالمعنى الاجمالي يوضحه ، والاستشهاد المقصود يشرحه .

كان لهذا المسلك أثره في الجمهور الاسماعيلي ، وأخـــذ الناس يتحدثون ويتساءلون ، وأقبلوا إلى هذه المقاهي ينتظرون ، وعمل هـــذا الوعظ عمله في نفوس المستمعين ، وبخاصة المواظبين منهم ، فأخـذوا يفيقون ويفكرون ، ثم

تدرجوا من ذلك الى سؤاله عما يجب أن يفعلوا ليقوموا بحق الله عليهم وليؤدوا واجبهم نحو دينهم وأمتهم ، وليضمنوا النجاة من العذاب ، والفوز بالنعيم ، وابتدأ هو يجيبهم إجابات غير قاطعة جذباً لانتباههم واسترعاء لقلوبهم، وانتظاراً للفرصة السانحة ، وتهيئة للنفوس الجامحة .

تعليم عملي

وتوالت الاسئلة على المدرس من هذه القلوب المؤمنة الطيبة ، ولم يشف غليلها هذا الجواب المقتضب ، وألح نفر من الاخوان ، في وجوب رسم الطريق التي يجب أن يسلكوها ، ليكونوا مسلمين ينطبق عليهم بحق وصف الاسلام فهم يريدون أن يتعلموا احكام الاسلام بعد أن تحرك وجدانهم بشعور أهل الاسلام ، فيشير عليهم المدرس باختيار مكان خاص يجتمعون فيه بعد دروس المقهى أو قبلها ليتدارسوا هذه الاحكام ، ويقع اختيارهم على زاوية نائية في حاجة الى شيء من الترميم والتصليح للاجتماع ولاقامة الشعائر .

يالله ... ما أطيب قلوب هذا الشعب ، وما أعظم مبادرته الى الخير ، متى وجد الداعية المخلص البريء : لقد أسرع هؤلاء الاخوان ، وفيهم أهل المهن المعمارية المختلفة الى الزاوية يرممونها ، ويستكملون أدواتها ، ويهيئونها لما يريدون، وفي ليلتين اثنتين استطاعوا أداء المهمة على أكمل وجوهها ، وانعقد بالزاوية أول اجتماع .

كان المجتمعون حديثي عهد بالتعبد ، أو بعبارة أدق كان معظمهم كذلك ، فسلك بهم المدرس مسلكا عمليا بحتا .إنه لم يعمد الى العبارات يلقيها ، أو الاحكام المجردة يرددها ولكن أخذهم الى « الحنفيات » تواً ، وصفهم صفا ووقف فيهم موقف المرشد الى الاعمال عملاً عملا ، حتى أتموا وضوءهم ، ثم دعا غيرهم ، ثم

غيرهم ، وهكذا اصبح الجميع يتقنون الوضوء عملا ، ثم أفاض معهم في فضائل الوضوء الروحية والبدنية والدنيوية وشوقهم بما ورد في مثوبته من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره » وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين ، يقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة » ... يثير بذلك شوقهم ورغبهم فيما ندبهم الله له .

ثم ينتقل بهم بعد ذلك الى الصلاة شارحا أعمالها ، مطالبا إياهم بأدائها عمليا أمامه ، ذاكراً ما ورد في فضلها ، مخوفا من تركها ، وهو في اثناء ذلك كله يستظهر معهم الفاتحة واحداً واحداً ، ويصحح لهم ما يحفظون من قصار السور ، سورة سورة ، مقتصراً في حديثه إياهم على الكيفيات المشربة بالترغيب والترهيب ، لا يحاول أن يفرع المسائل ، أو يلجأ الى المصطلحات الغامضة ، حتى رقت للاحكام قلوبهم ووضحت في أذهانهم ، ولم تعد هذه الناحية الفقهية البحتة تبدو خشنة جافة .

عقيدة الفطرة

ثم هو في اثناء ذلك كله ، وخلال كل مجلس من مجالسه ، يطرق باب العقيدة الصحيحة فينميها ويقويها ويثبتها بما يورد من آيات الكتاب الحكيم ، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، وسير الصالحين ، ومسالك المؤمنين الموقنين .

ولا يعمد كذلك الى نظريات فلسفية ، أو أقيسة منطقية ، وإنما يلفت الانظار إلى عظمة الباري في كونه ، وإلى جلال صفاته بالنظر في مخلوقاته ،

ويذكر بالآخرة في أسلوب وعظي تذكيري لا يعدو جلال القرآن الكريم في هذه المعاني كلها ، ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة إلا بعد بناء عقيدة صالحة ، وما أسهل الهدم بعد البناء وأشقه قبل ذلك ، وهي نظرة دقيقة ، ما أكثر ما تغيب عن إدراك المصلحين الواعظين .

في زاوية الحاج مصطفى بالعراقية

كانت هذه الزاوية الثانية،هي الزاوية التي بناها الحاج مصطفى تقربا الى الله تبارك وتعالى وفيها اجتمع هذا النفر من طلاب العلم يتدارسون آيات الله والحكمة في أخوة وصفاء تام .

ولم يمض وقت طويل حتى ذاع نبأ هذا الدرس ،الذي كان يستغرق ما بين المغرب والعشاء وبعده يخرج الى درس القهاوي حتى،قصد اليه كثير من الناس ومنهم هواة الخلاف وأحلاس الجدل وبقايا الفتنة الأولى .

وفي إحدى الليالي شعرت بروح غريبة،روح تحفز وفرقة . ورأيت المستمعين قد تميز بعضهم من بعض ، حتى في الأماكن ولم أكد أبدأ حتى فوجئت بسؤال:ما رأي الأستاذ في مسألة التوسل ؟ فقلت له :«ياأخي أظنك لا تريد أن تسألني عن هذه المسأله وحدها ، ولكنك تريد أن تسألني كذلك في الصلاة والسلام بعد الآذان ، وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، وفي لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم في التشهد، وفي أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ، وأين مقرهما ، وفي قراءة القرآن وهل يصل ثوابها إلى الميت أولا يصل ، وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطريق وهل هي معصية أوقربة إلى الله » .وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعا،التي كانت مثار فتنة سابقة وخلاف شديد فيما بينهم فاستغرب الرجل ، وقال نعم أريد الجواب على هذا كله ؟ فقلت له:ياأخي

إني لست بعالم ، ولكني رجل مدرس مدني أحفظ بعض الآيات و بعض الأحاديث النبوية الشريفة و بعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب ، وأتطوع بتدريسها للناس ، فاذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أحرجتني ، ومن قال لا أدري فقد أفتى ، فاذا أعجبك ما أقول ، ورأيت فيه خيرا ، فاسمع مشكورا وإذا أردت التوسع في المعرفة ، فسل غيري من العلماء والفضلاء المختصين ، فهم يستطيعون إفتائك فيما تريد وأما أنا فهذا مبلغ علمي ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها . فأخذ الرجل بهذا القول ولم يجد جوابا ، وأخذت عليه ،بهذا الأسلوب، سبيل الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أومعظمهم الى هذا التخلص ؛ولكني لم أرد أن تضيع الفرصة فالتفت إليهم وقلت لهم : «ياإخواني أنا أعلم تماما أن هذا الأخ السائل،وأن الكثير من حضراتكم ،ما كان يريد من وراء هذا السؤال إلا أن يعرف هذا المدرس الجديد من أي حزب هو ؟أمن حزب الشيخ موسى أومن حزب الشيخ عبد السميع ؟ وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئاً وقد قضيتم في جو الفتنة ثماني سنوات وفيها الكفاية ـ وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة،فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الامور الآن وتجتهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وإرشاداته المجمع عليها ، ونؤدي الفرائض والسنن وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأي وحينئذ نتدارس هذه الشؤون كلها معا في ظل الحب والثقة والوحدة والاخلاص ، وأرجو أن تتقبلوا مني هذا الرأي ويكون عهداً فيما بيننا على ذلك.» وقد كان،ولم نخرج من الدرس إلا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الاسلام الحنيف ، والعمل له يداً واحدة ،وطرح معاني الخلاف ،واحتفاظ كل

برأيه فيها حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا ـ واستمر درس الزاوية بعد ذلك بعيداً عن الجو الخلافي فعلا بتوفيق الله وتخيرت بعد ذلك في كل موضوع معنى من معاني الاخوة بين المؤمنين أجعله موضوع الحديث أولاً تثبيتا لحق الاخاء في النفوس كما أختار معنى من معاني الخلافيات، التي لم تكن محل جدل بينهم والتى هي موضع احترام الجميع وتقدير الجميع ، أطرقه واتخذ منه مثلا لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليهم ولوجوب التسامح واحترام الآراء الخلافية فيما بيننا .

مثل

وأذكر أنني ضربت لهم مثلا عملياً فقلت لهم : أيكم حنفي المذهب؟ فجاءني أحدهم، فقلت: وأيكم شافعي المذهب ؟فتقدم آخر فقلت لهم :سأصلي اماماً بهذين الأخوين فكيف تصنع في قراءة الفاتحة أيها الحنفي ؟ فقال أسكت ولا أقرأ ، فقلت وأنت أيها الشافعي ماتصنع؟ فقال أقرأ ولا بد. فقلت: وإذا انتهينا من الصلاة فما رأيك ايها الشافعي في صلاة أخيك الحنفي؟فقال باطلة لأنه لم يقرأ الفاتحة وهي ركن من اركان الصلاة. فقلت وما رأيك أنت أيها الحنفي في عمل أخيك الشافعي؟فقال لقد أتي بمكروه تحريماً فان قراءة الفاتحة للمأموم مكروهة تحريماً. فقلت هل ينكر أحدكما على الآخر ؟ فقالا: لا . فقلت للمجتمعين: هل تنكرون على أحدهما؟فقالوا: لا. فقلت: ويا سبحان الله! يسعكم السكوت في مثل هذا وهو أمر بطلان للصلاة أو صحة ولا يسعكم أن تتسامحوا مع المصلي اذا قال في التشهد اللهم صل محمد أو اللهم صل على سيدنا محمد وتجعلون من ذلك خلافا تقوم له الدنيا وتقعد ، وكان لهذا الأسلوب أثره فأخذوا يعيدون النظر في موقف

بعضهم من بعض وعلموا أن دين الله أوسع وأيسر من أن يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة وإنما مرد كل شيء الى الله ورسوله وجماعة المسلمين وامامهم ان كان لهم جماعة وامام .

مجتمع الاسماعيلية

قضيت على هذا الأسلوب أكثر من نصف العام الأول الدراسي بالاسماعيلية، أعني ما بقي من سنه ١٩٢٧ ثم أوائل سنة ١٩٢٨ الميلادية ، وقد كان هدفي في هذه الفتره دراسة الناس والأوضاع دراسة دقيقة ومعرفة عوامل التأثير في هذا المجتمع الجديد ــ وقد عرفت أن هذه العوامل أربعة : العلماء أولا وشيوخ الطريق ثانيا والاعيان ثالثا والأندية رابعا .

فأما العلماء فقد سلكت معهم مسلك الصداقة والتوقير والاجلال الكامل وحرصت على ألا أتقدم أحداً منهم في درس أو محاضرة أو خطبة واذا كنت أدرس وقدم أحدهم تنحيت له وقدمته الى الناس وكان لهذا الاسلوب أثره في انفسهم فظفرت منهم بالكلمة الطيبه .

ومن النكات اللطيفة أن أحد قدامى المشايخ الذين قضوا بالأزهر الشريف سنوات طوالا على نظامه الاول تقريباً ــ وكان من المولعين بالجدل والنقاش ومحاولة إحراج الوعاظ والعلماء والمدرسين بطرح مسائل غير مطروقة والتعرض لمعان وموضوعات مما تضمنته الحواشي القديمة والتقارير الدقيقة العميقة ــ حاول إحراجي ذات يوم وأنا أقص قصة ابراهيم الخليل عليه السلام على الناس فسألني عن أسم أبيه فابتسمت وقلت له : « يا مولانا الشيخ عبد السلام – رحمه الله ــ قالوا : إن اسمه « تارخ » وان آزر عمه والقرآن

يقول إن آزر ابوه ولا مانع من ان يكون عمه لاستخدام ذلك في لغة العرب، وقد قال بعض المفسرين إن آزر اسم للصنم لا لأبيه ولا لعمه وان التقدير : إذ قال ابراهيم لأبيه اترك آزر أتتخذ أصناماً آلهة . » – ونطقت بكلمة تارخ بكسر الراء – ولما كان هذا البيان شافياً لأمثلي، رغم إيجازه، لم يشأ أن يدع الموقف يمر في هدوء فقال : ولكن اسم أبيه تارُخ بضم الراء لا بكسرها . فقلت : فليكن وهو اسم أعجمي على كل حال وضبطه الصحيح يتوقف على معرفة هذه اللغة والمهم العظة والعبرة . وأراد هذا الشيخ رحمه الله أن يتخذ معي هذا الاسلوب في كل درس ، ومعنى هذا أن يهرب العامة والمستمعون من هذا الجدل العقيم ويدعون للشيخين هذا الميدان الذي لا خير فيه ؛ فكرت في علاج الشيـــخ فدعوته الى المنزل وأكرمتـــه وقدمت له كتابين في الفقه والتصوف هدية وطمأنته على أنني مستعد لمهاداته بما شاء من الكتب فسر الرجل سروراً عظيما وواظب على حضور الدرس والاصغاء اليه اصغاء تاماً ودعوة الناس إليه في إلحاح فقلت في نفسي : صدق رسول الله : تهادوا تحابوا – واستمرت هذه الطريقة ناجحة إلى حين ؛ وللنفوس تقلباتها .

وأما رجال الطرق فقد كانوا كثرة كثيرة في هذا البلد الطيبة قلوب أهله وكان يتردد عليهم الكثير من الشيوخ – ولا أنسى مجالس الشيخ حسن عبد الله المسلمي ، والشيخ عبود الشاذلي ، والشيخ عبد الوهاب الدندراوي وغيرهم، وفي هذه الفترة زار الاسماعيلية الشيخ عبد الرحمن سعد وهو من خلفاء الشيخ الحصافي ، فهو أخونا في الطريق حينذاك ، وكان يدرس ويعظ ، ويرأس بعد ذلك حلقة الذكر . فقصد المسجد ولم أكن أعرفه ولا يعرفني ودّرس ووعظ ؛ ثم دعا الناس الى الذكر ، فرأيت أسلوب الطريقة الحصافية وتعرفت إليه أخيراً . ولكن الحق أنني لم أكن متحمساً لنشر الدعوة على أنها طريق خاص

لأسباب أهمها : أنني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ؛ وأنني لا أريد أن نكون محصورة في نفر من المسلمين ، ولا في ناحية من نواحي الاصلاح الاسلامي ، ولكني حاولت جاهداً أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد، وهي أن كان الدعوة الاسلامية الجامعة (ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه)، ولكني مع هذا أكرمت الشيـــخ عبد الرحمن وأحسنت استقباله ، ودعوة الراغبين في الطريق الى الاخذ عنه والاستماع اليه حتى سافر . كما تعرفت في هذه الفترة الى السيد محمد الحافظ التيجاني الذي جاء الى الاسماعيلية خصيصاً ليحـــذر من دسائس البهائيين ومـكايـــدهم ،

وقد كان لهم في هـــذا الوقت دعوة ودعاة ، في هذه النواحي، تقوى وتشتد وتنتشر ،فأبلى البلاء الحسن في تحذير الناس منهم ، وكشف خدعهم وأباطيلهم والرد عليهم ، وقد أعجبت بما رأيته من علمه وفضله ودينه وغيرته وناقشته طويلا ــ وكنا نسهر ليالي عدة ــ فيما يأخذ الناس على التيجانية من غلو ومبالغة ومخالفات؛ فكان يؤول ما يحتمل التأويل ؛ وينفي ما يصطدم بالعقيدة الاسلامية الصافية ويبرأ منه أشد البراءة . كانت طريقتي مع هؤلاء الشيوخ الكثيرين الذين يزورون الاسماعيلية أن أتأدب معهم بأدب الطريق وأخاطبهم بلسانها ، ثم إذا خلونا معاً شرحت لكل منهم حال المسلمين وجهلهم بأوليات دينهم ، وتفكك رابطتهم وغفلتهم عن مصالحهم الدينية والدنيوية ، وما يهـــددهم من اخطار جسام في كيانهم الديني بزحف الالحاد والاباحية على معسكراتهم،وفي كيانهم الدنيوي بغلبة الأجانب على خيرات بلادهم ، وكان المعسكر غرب الاسماعيلية ومكاتب شركة قناة السويس في شرقها مدداً لا ينضب من الأمثلة على ذلك ،ثم أذكرهم بالتبعة التي على كاهلهم لهؤلاء الأتباع الذى وثقوا بهم ، وأسلموهم قيادهم ، ليدلوهم على الله ويرشدوهم إلى الخير ، ثم أطلب إليهم في النهاية أن يوجهوا كل

جهودهم إلى إثارة أذهان هؤلاء الناس بالعلم والمعرفة ، وإلى التربية الاسلامية الصحيحة ، وجمع كلمتهم على عزة الاسلام والعمل على إعادة مجده .

ولا زلت أذكر مقابلة قابلت فيها الشيخ عبدالوهاب الدنداوي رحمه الله ، فرأيت شاباً في سني تقريباً ، في العشرين أو الحادية والعشرين من عمره ، وفيه صلاح وخير ، فجلست معه موقراً إياه كل التوقير ، حتى إذا انتهى المجلس العام طلبت أن أخلو به في حجرة خاصة ، ولما دخلنا خلعت طربوشي فوضعته على كرسي وخلعت عمامته ووضعتها إلى جوار الطربوش ، وهو يستغرب هـــذا العمل الذي لم يفاجأ به من أحـد من قبل ، وقلت له : « يا أخي لا تنتقدني في هذا العمل فانما فعلت ذلك لأقضي على الفارق الشكلي بيني وبينك ، ولأخاطب فيك الشاب المسلم عبدالوهاب الدنداوي فقط ، أما الشيخ عبدالوهاب الدنداوي فقد تركناه في المجلس العام .. إنك يا أخي في العشرين من عمرك ، وكلك والحمد لله شبابٌ وقوة وحماسة ... ها أنتَ ذا ترى هذه الجموع ، التى جمعها الله عليك ، تقضي الليل في ذكر ونشيد ، ثم لاشيء بعد ذلك ، والكثير منهم شأنه من شأن غيره من المسلمين : جهالة بالدين ، وبعـــد عن الشعور بعزة الاسلام وكرامته فهل ترضى هذا ؟ » فقال : « وماذا أصنع ؟ » قلت العلم والتنظيم والرقابة ، وتربيتهم على سيرة سلفنا الصالح ، وتاريخ أبطالنـا المجاهدين ... » وكان كلام طويل بيننا حول هذه المعاني ، تأثر به الشيخ تأثراً عميقاً ، وتعاهدنا معاً على العمل ، أخوين ، لخدمة الاسلام العام ، وتركيز دعوته في النفوس كلٌ في ميدانه ومحيطه ؛ وأشهد أنه ما جاء الاسماعيلية بعد ذلك إلا بدأ بزيارتي وتطميني بأنه على العهد مقيم حتى توفي رحمه الله وجزاه عن الوفاء خيراً .

مع الاعيان (١)

كان أعيان الاسماعلية في هذا الوقت يمثلون فكرتين ـ على أثر ذلك الخلاف الديني الذي أوجده خلاف المشايخ في بعض الآراء ـ والحقيقة انه كان للمعاني الشخصية والعائلية الاثر الكبير في توجيه هذا الخلاف كما هي العادة في المجتمع المصري . وكان لا بد للموظف الذي ليس من أهل البلد أن يتصل باعيانها وان يغشى بيوتهم ، وقد انقسم الموظفون الذين يتصلون بهؤلاء الأعيان إلى معسكرين تقريباً ، كل ومن يتصل بهم ، ولكني كنت أشعر أن طبيعة الدعوة الشاملة وهي دعوة إخاء ومودة تفرض عليّ أن اتصل بالطرفين جميعا وان يكون هـــذا الاتصال في وضوح وجلاء فكنت إذا دخلت بيت زعيم أحد الفريقين تعمدت أن أقول شيئاً عن منافسه فلان ، وانه لا يضمر له إلا الخير ، ويذكره بالخير كذلك ، وان من واجبهما أن يتعاونا على ما فيه مصلحة بلدهما وان الاسلام يأمر بهذا الى غير ذلك من أمثال هذه المعاني واذا سمعت من ينتقص أحد الفريقين في منزل الآخر رددت عليه بأن من الخير أن يكون واسطة التوفيق وأن لا ينقل من الكلام إلا ما يعينه على ذلك ، وأنه لا ضرورة للتورط في الغيبة وهي إثم كبير ، وهكذا ..ولا شك أن هذا الكلام كله كان ينقل للطرف الثاني كما هي العادة في البلد الصغير ـ مع الأسف ـ فيسر به . وبهذا الأسلوب استطعت أن أظفر بصداقة الطرفين واحترامها جميعاً . ولقد كان لهذا الأسلوب أثره في اجتماع الطبقات المختلفة على دعوة الاخوان حين نشأت بعد ذلك .

---

(١) نشر في القسمين ٢٩ و ٣٠ من المذكرات المنشورين في اعداد الجريدة بتاريخ ٢٤ و ٢٦ آب « اغسطس » سنة ١٩٤٧ مقالة تحت عنوان « شهيد الأمس » كان نشره بمناسبة وفاة الشيخ محمد عبدالرحمن الأنصاري في ذلك التاريخ وقد تجاوزنا عنه محافظة على تسلسل الحوادث في المذكرات ولعلنا ننشره في الأجزاء القادمة في المكان المناسب لتاريخه ان شاء الله .

الناشر

الاندية

كان في الاسماعيلية في ذلك الحين نادي العمال الذي أنشأته جمعية التعاون والذي مازال قائماً يؤدي رسالة طيبة في محيط العمال الاجتماعي ، وكان فيه نخبة من الشباب المثقف ، الذي يريد أن يستمع ويتعلم ، وكان هناك كذلك فرع جمعية منع المسكرات تلقى فيه بعض المحاضرات والاحاديث المتعلقة بهذا الغرض وقد انتهزت هذه الفرصة ، واتصلت بالناحيتين وأخذت القي بعض المحاضرات الدينية والاجتماعية والتاريخية التي كانت سبباً في تهيئة نفوس كثير من المثقفين للدعوة المستقبلة .

عود الى القاهرة

ورغم الاهتمام الكامل بتدعيم الفكرة وتهيئة النفوس لها في الاسماعيلية فان ذلك لم يحل بيني وبين الاهتمام بسير التيار الاسلامي الضعيف ، حينذاك ، واتجاهاته في القاهرة فكنت على صلة تامة بمجلة الفتح ، وكنت أعمل جاهداً على نشر الدعوة لها في الاسماعيليه والاكثار من مشتركيها باعتبارها شعاع النور الأول الذي يسير العاملون للحركة الاسلامية في ضوئه.

جمعية الشبان المسلمين

كما كنت على صلة تامة بمجموعة الشباب التي تعرفت اليها في القاهرة من قبل وتعاهدنا على العمل للدعوة الاسلامية العامة .

وكم كنت سعيداً فرحاً أشد الفرح حينما قرأت في الجرائد صباح يوم من الأيام نبأ الاجتماع الأول لتكوين جمعيـــة الشبان المسلمين ، وفقها الله ، واختيار المرحوم عبد الحميد بك سعيد رئيساً لها على أثر مجهودات هؤلاء الاخوة

من الشباب المؤمن واذكر انني كتبت توا الى عبد الحميد بك سعيد معلنـا اشتراكي بالجمعية وواظبت على دفع الاشتراك ، وتابعت خطواتها وما طرأ عليها من تطورات وحوادث بكل اهتمام ، وألقيت أول محاضرة هامة لي في القاهرة في ناديها بشارع مجلس النواب ، وأظنها كانت بعنوان « بين حضارتين » وقـد كنت ولا زلت أكن لرجالهـــا المؤسسين والعاملين فيها كل تقدير لجهودهم الاسلامية القيمة ، ولا زلت أذكر منهم الدكتور يحيى الدرديري ، والاستاذ محمود علي فضلي ، والاستاذ محمد الغمراوي . والسيد محب الدين الخطيب وغيرهم ، جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً .

طريفة

ومن الطرائف أننا بعد أربعين يوماً من نزولنا إلى الاسماعيلية ، لم نسترح في الاقامة في البنسيونات ، فعولنا ، على استئجار منزل خاص ، فـكانت المصادفة أن نجد دوراً أعلى ، في منزل ، استؤجر دوره الأوسط مجتمعاً لمجموعة من المواطنين المسيحيين اتخذوا منه نادياً و كنيسة ، ودوره الأسفل مجتمعاً لمجموعة من المواطنين اليهود ، اتخذوا منه نادياً وكنيساً ، وكنا نحن بالدور الأعلى نقيم الصلاة ، ونتخذ من هذا المسكن مصلى ، فكأنما هذا المنزل يمثل الأديان الثلاثة ، ولست أنسى « ام شالوم » سادنه الكنيس ، وهي تدعونـا كل ليلة سبت ، لنضيء لها النور ، ونساعدها في « توليع وابور الجاز » وكنا نداعبهـا بقولنا إلى متى تستخدمون هذه الحيل التي لا تنطلي على الله ، وإذا كان الله قد حرم عليكم النور والنار يوم السبت كما تدعون ، فهل حرم عليكم الانتفاع ، أو الرؤية ؟ فتعتذر ، وتنتهي المناقشة بسلام .

وحي الاسماعيلية

حل من

وكان للاسماعيلية وحي عجيب ، فهذا المعسكر الانجليزي في جمع الناس
بيأسه وسلطانه، وهيلمته وهيلمانه ، يبعث في نفس كل وطني غيهذه النية الصالحة ،
والأسف ، ويدفعه دفعاً إلى مراجعة هذا الاحتلال البغيضالعمل وعلى الله النجاح.
مصر من نكبات جسام ، وما أضاع عليها من فرص مافيها حياة الوطن وعزة الامة»
كان الحاجز الوحيد دون نهوضها ورقيها والمانع الأو
كلمة المسلمين طوال ستين سنة .
دم ونجاهد في سبيله .
وهذا المكتب الانيق الفخم ، مكتب ادهل نكون جمعية او نادياً ، أو طريقة
وروعته ، وسلطانه وسطوته واستخدامه فقلت : لاهذا، ولاذاك ، دعونا من
المضطهدين ، وا كرامه للاجانب ورفهيكن أول اجتماعنا وأساسه : الفكرة والمعنويات
هذا المكتب بالاشراف التام على كل سلام ، فنحن اذن « الاخوان المسلمون » .
وكل ما هو من شأن المجالس البلدي مثلا ... وولدت أول تشكيلة للاخوان المسلمين
التي توصل الى الاسماعيلية البلؤل هذه الفكرة ،على هذه الصورة وبهذه التسمية ...
إلا بأذنها ولا خروج إلا
وهذه المنازل ا

الشركة الاجان
والشوارع
الاقتصا
ıée

تم الجزء الاول

اذا خلا المتأمل فيها بنفسه ، بين خمائل الاسماعيلية ، وحدائقها الغناء ، أو في اشتراء بحيرة التمساح الجميـــلة ، أو في جوف الغابات الصناعية ، على حافة من تطور .

في ناديها بشارع الاسماعيلية بالكثير من المعاني ، التي كان لها أثر كبير في تكييف كنت ولا زلت أ

الاسلامية القيمة ، ولا

الاخوان المسلمون

محمود علي فضلي ، والاست

جزاهم الله عن الاسلام والمسـ١٣٤ هـ ، مارس سنة ١٩٢٨ م ، فيما أذكر ، زارني حافظ عبد الحميد ، احمد الحصري ، فؤاد ابراهيم

، زكي المغربي ، ــ وهم من الذين تأثروا

ومن الطرائف أننا بعد أربعين يو وجلسوا يتحدثون إلي وفي صوتهم في الاقامة في البنسيونات ، فمولنا ، على ابـ الايمان والعزم ، قالوا : ولقـد سمعنا أن نجد دوراً أعلى ، في منزل ، استؤجر دورملية إلى عزة الاسلام وخير المسلمين المواطنين المسيحيين اتخذوا منه نادياً و كنيسة ، ت ترى أن العرب والمسلمين من المواطنين اليهود ، اتخذوا منه نادياً وكنيساً ، و يعدون مرتبة الاجراء نقيم الصلاة ، ونتخذ من هذا المسكن مصلى ، فكأنما هـ

الثلاثة ، ولست أنسى « ام شـالوم » سـادنه الكنيس ، وهي د وهذه الارواح سبت ، لتضيء لها النور ، ونساعدها في « توليع وابور الجاز » و د ، من قوت بقولنا إلى متى تستخدمون هذه الحيل التي لا تنطلي على الله ؟ وإذا السبيل ، قد حرم عليكم النور والنار يوم السبت كما تدعون ، فهل حرم عليكم الا نقدم أو الرؤية ؟ فتعتذر ، وتنتهي المناقشة بسلام . عنا

في سبيله ، لاتبغي بذلك الا وجهه ، لجديرة أن تنتصر ، وإن قل عـــددها وضعفت عـــددها » .

كان لهذ القول المخلص أثره البالغ في نفسي ، ولم أستطع أن أتنصل من حمل ما حملت ، وهـــو ما أدعو إليه وما أعمل له ، وما أحاول جمع الناس عليه ، فقلت لهم في تأثر عميق : « شكر الله لكم وبارك هذه النية الصالحة ، ووفقنا الى عمل صالح ، يرضي الله وينفع الناس ، وعلينا العمل وعلى الله النجاح. فلنبايع الله على أن نكون لدعوة الاسلام جنداً ، وفيها حياة الوطن وعزة الامة »

وكانت بيعة . . .

وكان قسماً أن نحيا اخواناً نعمل للاسلام ونجاهد في سبيله .

وقال قائلهم : بم نسمي أنفسنا ؟ وهل نكون جمعية او نادياً ، أو طريقة أو نقابة حتى نأخذ الشكل الرسمي ؟ ـ فقلت : لاهذا، ولاذاك ، دعونا من الشكليات ، ومن الرسميات ؛ وليكن أول اجتماعنا وأساسه : الفكرة والمعنويات والعمليات. نحن إخوة في خدمة الاسلام ، فنحن اذن « الاخوان المسلمون » .

وجاءت بغتة ... وذهبت مثلا ... وولدت أول تشكيلة للاخوان المسلمين من هؤلاء الستة ، حول هذه الفكرة ، على هذه الصورة وبهذه التسمية ...

تصويبات

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	٦	النففات	النفقات
١٩	٥	الحياتُ	الحيوانُ
٢٢	٣	إلا أشهر	إلا أشهراً
٢٤	١١	وما كان	وما كنا
٢٤	٨	علائقوا	علائقه
٣١	١١	اعمقها أثر	اعمقها أثراً
٣٦	١٧	الهورنيين	الهورنيون
٣٧	١٠	اشاراة	إشارات
٣٩	٢١	استعداد	استعداداً
٥٠	١٢	يغادر	يغار
٥٠	الأخير	الم المصابه	الم لمصابه
٧٧	١٢	البالي	الليالي

الشيخ احمد عبد الرحمن



والد المرشد العام

حسن البنا